



Munich Personal RePEc Archive

Assessment of the Foreign Non-Government Organizations' Role in Sudan

Mohamed, Issam A.W.

Department of Economics, Al Neelain University, Khartoum, Sudan

2011

Online at <https://mpra.ub.uni-muenchen.de/32296/>
MPRA Paper No. 32296, posted 22 Jul 2011 05:14 UTC

Assessment of the Foreign Non-Government Organizations' Role in Sudan

Professor Dr. Issam A.W. Mohamed¹

1. ABSTRACT	1
2.....	2. المقدمة
4.....	3. تاريخ العمل الطوعي في السودان
6.....	4. المنظمات التطوعية الأجنبية في السودان
7.....	5. نماذج المنظمات الأجنبية غير الحكومية.....
8.....	6. مجالات العمل الطوعي العربي والإسلامي
11.....	7. مشاكل العمل الطوعي في السودان
14.....	8. الإغاثة والتطوع لفرص التنصير
15.....	9. الاختراق الأمني
17.....	10. المراجع

1. ABSTRACT

The study presented reviews activities of NGOs in Sudan. That was a disputable issue that resulted in a mass expulsion of many in 2009. However, there were precedents of such expulsions in previous and following years. The paper discusses humanitarian work in Sudan, positive and negative sides. Reasons are that part of the hypothetical framework here is that their activities in the country are indispensable. The country still faces many humanitarian suffering in most of its regions and international aid is direly required. Thus, it is essential to rectify their modus operandi to be consistent with the culture of the country's people. The conclusions of the paper emphasize that such their humanitarian relief facilities are inadequate and that educational efforts are more needed to support a build-up of human capital. Malnutrition, inadequate homes and sanitation facilities are also common issues that should be within their aid targets. Those are axial factors that should be focused upon specially with escalating economic distress and secession of the Southern Sudan.

¹ Professor of Economics, Alneelain University, Khartoum-Sudan. P.O. Box 12910-11111.
issamawmohamed@yahoo.com

2. المقدمة

العمل الطوعي مفهوم وممارسة قديمة وليس من ثمار الحضارة الغربية المعاصرة فقد عرف الإنسان البدائي الأول سلوك النجدة، وعون الجار في أزماته وجاءت الأديان لتؤكد هذه المفاهيم وتعزز تلك المبادئ التي تدعو للتكاتف والتراحم.

حثت الشريعة الإسلامية الإكثار من فعل الخيرات والحسنات ، مثل الإنفاق في سبيل الله وحب الخير للآخرين لقوله تعالى لذلك حاربت الشريعة الإسلامية السمحة التمايز الشديد بين المجتمع المسلم ، ومحاربة لذلك فرضت على المال الزكاة والصدقات ، لإنفاقها على الفقراء والمساكين والعاملين عليها ، وابن السبيل والمؤلفة قلوبهم وغيرهم من الأصناف الأخرى. لقد فهم المسلمون بتوجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم فآخذوا يوقفون الأوقاف سقيا وإطعاما للناس. وكذلك أكدت جميع الأديان السماوية على العمل الطوعي كما دعت الفلاسفة الشرقية والتي هي من صنع البشر على ممارسة العمل الطوعي بمفهومه الحديث. وقد عانت الدول النامية الكثير من الكوارث الطبيعية والبشرية التي ألحقت بهم أضرار وخسائر فادحة في الأرواح والممتلكات ، ويعاني السودان من هذه الكوارث الجفاف والتصحر والفيضانات ، وكذلك الحروب الأهلية في الجنوب والغرب ، وبما أن هذه الكوارث تؤثر على المجتمع لذلك برزت حاجة المجتمع لمساعداته وتقديم العون الإنساني من خلال المنظمات الطوعية حيث نجد العديد من المنظمات الطوعية تعمل في مساعدة ورعاية المجتمعات المنكوبة والمتضررة بالكوارث ، وتقوم هذه المنظمات بدور بارز في مجال الرعاية خاصة في وسط النازحين. إلا أن بعض المنظمات الطوعية انخرقت عن المساعدات الإنسانية حيث تسعى لتحقيق أهداف خفية تحت ستار العون الإنساني بحيث يمتد نفوذ هذه المنظمات ليصل إلى حد التأثير على سيادة الدولة والمساس بأمنها الوطني وربما بعض الأحيان في الشؤون الداخلية للدولة.

من المشاكل التي يعاني منها السودان ظاهرة النزوح نتيجة للكوارث الطبيعية كالفيضانات والجفاف والتصحر والمجاعات أو الكوارث البشرية كالحروب الأهلية في الجنوب والغرب. هذه الكوارث اضطرت أعداد هائلة من البشر للنزوح من مناطقهم الأصلية التي كانت يطيب لهم منها العيش والاستقرار. استوطن النازحون المدن وضواحيها في سكن عشوائي تنعدم فيه أبسط الخدمات الأساسية للحياة ، أو في معسكرات منتظمة تقوم بإدارتها المنظمات الطوعية من خلال إشراف الحكومة وذلك من أجل الحصول على لقمة العيش أو خوفا لأنفسهم. ولما كانت الطفولة هي الفترة التي يكون فيها الطفل معتمدا على أبوية في مأكله وملبسة ، ومأواه في جميع احتياجاته الجسمية والعقلية والاجتماعية ولذلك نعتبر من أهم المراحل التي يحتاج الإنسان الرعاية الاجتماعية والعقلية والصحية والتعليمية ، والتربوية. والأطفال هم الذين يقودون المجتمعات إلى التقدم والتنمية في المستقبل وهم جيل الغد ولذلك يجب أن تتجه الجهود إلى الاهتمام لرعاية الطفولة ، وتقديمها كل الخدمات المطلوبة ما أمكن ذلك ، ونسعى إلى تسليط الضوء على دور المنظمات الطوعية العالمية في تخفيف معاناة أطفال النازحين.

لقد أصبح النزوح في الوقت الحاضر ظاهرة اجتماعية عالمية تعاني فيها أكثر الدول خاصة الدول النامية ، ويتمثل موضوع البحث في توضيح دور المنظمات الطوعية الأجنبية في تخفيف معاناة أطفال النازحين وتقديم الخدمات الاجتماعية لهم مع العلم إن دور المنظمات أصبح فعالا في الأونة الأخيرة في المجالات الإنسانية ، وقد تم اختيار ولاية الخرطوم لدراسة أحوال أطفال النازحين باعتبارها المنطقة التي توجد فيها أعداد كبيرة من النازحين من أقاليم السودان المختلفة . أما اختيار الأطفال من النازحين لكونهم أحوج الفئات للرعاية لأن الأطفال والنساء والمسنين هم أكثر الفئات تضررا للكوارث الطبيعية والبشرية . كذلك فإن الإسلام حث على العناية والرحمة بالمستضعفين وتقديم العون لهم وعدم مسهم بالضرر حتى في حالات الحرب بل وجب نصرتهم وعونهم قال تعالى ((ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من النساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا)) النساء .

وتهدف هذه الورقة للوقوف على الأدوار التي تقوم بها المنظمات الطوعية الأجنبية لتخفيف معاناة أطفال النازحين من عدم توفير خدمات التعليم وتوضيح أكثر العقبات التي تحول بين الطفل النازح وبين التعليم في المعسكر . هذا مع إظهار أهمية التعليم لأبناء النازحين لأنهم هم الذين يقودون مستقبل أسرهم. يقود ذلك لدراسة مستوى الخدمات التعليمية لدى أطفال النازحين عامة والموجودين في المعسكرات خاصة ومساعدة منظمات العمل الطوعي في تقديم الخدمات الاجتماعية للنازحين وتقديم بعض التوصيات التي تساعد المهتمين في تعليم الأطفال خاصة النازحين .

تبرز أهمية الورقة لكثرة أطفال النازحين والمشردين حول المدن الكبرى خاصة العاصمة القومية (الخرطوم) الذين هم في حاجة ماسة للتعليم والتربية . وتعظم ظاهرة انتشار التشرد والتفكك الأسري والفاقد التربوي وانتشار الأمية تدعوا للاهتمام برعاية الأطفال وتوفيرهم للخدمات كالتعليم والصحة والرعاية الاجتماعية وتكشف المعاناة التي تواجه أطفال النازحين في المعسكر من الناحية التعليمية . هذا لأن السنوات الأولى في حياة الإنسان ذات قيمة خاصة بالنسبة له ، ففيها تتكون شخصيته وما يتبع ذلك من النمو العقلي والنفسي والجسدي والعاطفي والأخلاقي. والطفل في هذه المرحلة إذا لم يجد العناية الكافية فإن ذلك يهدد حياته ويقود إلى سلوك غير سوي

الأمر الذي قد يدفعه إلى الضياع. وتستخدم الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لاستخلاص التوصيات ولهدف معرفي هو الخروج بالخلفيات المعرفية. والافتراضات الأساسية هي أن أكثر المشاكل التي تواجه أطفال النازحين في المعسكر هي تدني الخدمات التعليمية. وتركز المنظمات الطوعية الأجنبية بتقديم المساعدات الغذائية لأطفال النازحين في المعسكرات ولكنها تهمل خدمات التعليم والصحة.

هناك دراسات سابقة منها دراسة إبراهيم أرباب، مفوضية الشؤون التعليمية في السودان مايو 1987 وعنوانها هو النازحون والتعليم وقد استهدفت معرفة كيفية تقديم الخدمات التعليمية لأبناء النازحين بالعاصمة القومية. وقد توصلت إلي أن حجم المشكلة كبيرة ولها تأثيرها علي ولاية الخرطوم، باعتبارها ملتقى السودانيين بمختلف أعراقهم وعاداتهم وهي منطقة الجذب الأولي في الهجرة الداخلية. وأتت بتوصيات أهمها أن النزوح باعتباره مشكلة قومية لا بد أن تتضافر الجهود لحلها. هذا بالإضافة أن هناك حوالي ثمانية ألف طفل لم يجد الدراسة هذا وأن إيجاد فرص دراسية تبدو مستحيلة وعليه فإننا نوصي للطلب إلي العون الأجنبي في إعادة توطينهم في شكل مجموعات. هذا نتيجة لأن المشكلة الأساسية هي عدم كفاية الخدمات الأساسية لتعليم الأطفال النازحين سواء كانوا في معسكرات أو غيرها. وليست المشكلة في أن الخرطوم مكان لجذب السكان من ولاياتهم لأن التعليم منهج قومي ولا دخل له بالأعراف والتقاليد لذا يجب أن تتضافر الجهود لتوفير وتحسين الخدمات التعليمية للنازحين كونهم مواطنين سودانيين وهذا حق من حقوقهم.

كانت دراسة إبراهيم سليمان الدسيس عن مشكلة الطفل النازح في ورقة عن توفير الخدمات التعليمية للطفل النازح (1995) واستهدفت معرفة المشاكل التي تواجه الطفل النازح وكذلك آثار النازحين علي المجتمع. واستنتجت أن أبرز المشاكل التي أفرزتها أفواج النازحين هي كيفية توفير الخدمات الضرورية لهم من مأوى والسكن والفرص التعليمية والصحية، ثم محاولة العلاج الجذري للمشكلة المتمثلة في القضاء علي أسباب النزوح. هذا بالإضافة إلي أن بعض الولايات نجحت في امتصاص حجم المشكلة بتوفير الخدمات الضرورية خاصة في مجال التعليم وذلك بقبول أبناء النازحين بالمدارس القائمة وإنشاء مدارس إضافة بالعون الذاتي. ولكن وضحت الدراسة إلي أن هناك عدم توفر الخدمات التعليمية لهذه المجموعات النازحة مما جعل التخلف وعدم الاهتمام بالبيئة مظهراً واضحاً من هذه المجموعات. وتنقص المدارس القائمة بمعسكرات النازحين مقومات أساسية كالأثاث والاحتياجات المدرسية. هذا يحتم قبول أبناء النازحين بالمدارس القائمة وإنشاء مدارس إضافية بالعون الذاتي لكي تخفف حدة المشكلة. أما دراسة عبد المنعم محمد عثمان فكانت عن تقييم برامج التعليم الأساسي للنازحين التابع لمنظمة إنقاذ الطفولة البريطانية بولاية الخرطوم (1997). وأوصت بتحسين الوضع الإداري والإشراف الفني والإشراف علي نشاطات المنظمة تجاه المدارس مع تقديم مساعدات للبنات وأيضاً بعض التلاميذ المحتاجين. هذا مع ضرورة تحسين وضع المعلمين داخل هذه المدارس وتقديم الخدمات الأساسية لهذه المدارس مع الربط والتنسيق بين هذه المدارس والمدارس الحكومية. ولكن يمثل تعليم بنات النازحين مشكلة بحد ذاتها، فتقديم مساعدات خاصة تشجيعية تؤدي إلي قبول أعداد من البنات في المدارس. واستنتجت دراسة فهمه مبارك يوسف عن الوضع التعليمي لأبناء النازحين بالمرحلة الابتدائية في معتمدية الخرطوم (1991) أن تعليم النازحين تحقق الأهداف العامة للتعليم القومي وتسير وفقاً للمنهج القومي. ولكنها لاحظت أنه ليس هناك أثر للاختلاط بين الأولاد والبنات وفقاً لطبيعة عاداتهم الاجتماعية وأن هنالك عوامل اقتصادية واجتماعية تؤثر في تعليم أبناء النازحين مع صعوبة لحصول وجبة الإفطار لعدد 72% من الأطفال وكذلك النساء لعدد 66% من الأطفال. هذا يوضح أن هناك مشكلة اقتصادية بالنسبة لسر هؤلاء الطلاب.

أما دراسة فاجوان أتور دينق أبيك عن دور المنظمات التطوعية في خدمة التعليم وسط النازحين لولاية الخرطوم (1996) فقد استهدفت التعرف علي أثر النزوح علي النازحين وانعكاساته علي حياتهم وخاصة من ناحية التعليم كما تعرف علي دور المنظمات الطوعية في مساعدة النازحين في مجال التعليم ومعرفة مدى فاعلية العملية التعليمية وسط النازحين في جانب المناهج والمدرسة والمعلم والتمويل والتحصيل الأكاديمي. واستنتجت أن معظم مدارس النازحين لم تبني بمواد ثابتة لعدم استقرار معسكراتهم تبعاً لترحلهم من مكان لآخر وضعف اهتمام الحكومة بمدارس النازحين وقلة إشرافها الفني. ومن الجانب الديموغرافي أن الأطفال الذكور أكثر من الإناث في مدارس النازحين وأن أغلب التلاميذ النازحين من الجنوب نظراً للحرب الدائرة هناك.

دراسة سيرنيو فرج الله عن تطوير الأساسي والثانوي للنازحين- إيجاد تعليم أفضل لأطفالنا النازحين (1995) كانت عن أن نسبة النجاح في الشهادة الثانوية والقبول بالجامعات ضعيفة جداً ويرجع سبب ذلك إلي شح التمويل بهذه المرحلة إضافة لبعض العوامل المتعلقة بالأسرة مثل حالة السكن وبعده عن المدرسة والوضع الاقتصادي المتدني للنازحين، والسياسات الحكومية تجاه تعليم النازحين، وعدم توفير المستلزمات التعليمية. وهذه حقائق تصعب مواجهتها ومن الأسف أن يحرم أطفال النازحين من الشهادة الثانوية وقبولهم بالجامعات إذا أنه من الممكن حلها سواء بإيجاد حافلات تنقل الطلبة من بيوتهم الي المدارس والعكس كذلك بتحسين الخدمات التعليمية وتصرف مساعدات مالية لذوي الدخل المحدود. لتحقيق التنمية للمجتمع حيث أن المجتمع يتكون من النازحين وغير النازحين. وهناك دراسة وزارة الصحة والرعاية الاجتماعية، إدارة البحث والمسح الاجتماعي (1990) عن النازحون بالمعسكرات حول العاصمة القومية وبرنامج إعادة التأهيل. وقد استهدفت هذه الدراسة النازحين

بالمعسكرات حول العاصمة القومية حيث تناولت الداخلية والنزوح الي الخرطوم الكبرى وكذلك دوافع هذا النزوح، والآثار المترتبة عليه، والواقع الاجتماعي والاقتصادي للنازحين. واستنتجت أن 73% من الفئة العمرية ما بين 21 – 42 سنة وهي الفئة العمرية المعينة برامج إعادة التأهيل إذ أن هذه النسبة الكبيرة من الأفراد في سن الإنتاج والعطاء مما يعني وجود كادر بشري يجب تأهيله. هذا بالإضافة إلي أن 41% من النازحين يعملون في حرف هامشية كالباعة المتجولين وعاطلين يعيشون علي الإعلانات من المنظمات وأن 7% فقط يمارسون عملاً وظيفي. هذه حقيقة لا بد من وضعها في الحسبان وهي تتصل بالمستوي التعليمي لأرباب أسر النازحين حيث تشير معطيات الدراسة الي أن 88% من أرباب أسر أميون ولوجود صلة وثيقة بين برنامج التأهيل والمستوي التعليمي نري أن نوع التأهيل المراد في هذا الجانب لا بد له يوضع الاعتبار هذه الحقيقة مما يعني أن البرامج التأهيلية والمهنية لا بد أن تكون متناسبة. وقد استنتجت وزارة الصحة والرعاية الاجتماعية من هذا ضرورة تفعيل دور الحكومة في حماية الأطفال وتحقيق مستقبل أفضل لهم ولن يتحقق ذلك إلا عن طريق التعليم. أما دراسة انتصار عبد الوهاب (1994) عن الحالة الاجتماعية والنفسية للنازحات من الإقليم الجنوبي فقد تناولت القوميات ومشاكلها في العالم الثالث ثم تطرقت للخلفية التاريخية لمشكلة النزوح الأساسية في السودان حيث ذكرت أن الحروب الأهلية التي اندلعت في الجنوب في الستينات والجفاف الذي حدث عام 1989م من أهم مسببات النزوح في السودان. ومن أهم نتائجها أن نسبة الإصابة بالأمراض النفسية والعصبية للنازحين من الإقليم الجنوبي ازادت ذلك للضغوط التي يعرضون لها من تغيير بيئة مفاجئ وفقدان لأراضيهم وماشيئهم مما جعلهم عرضة للإصابة بمختلف الأمراض النفسية والعصبية. واستدللت علي أن نسبة 58,9% منهم مصابون بانفصام الشخصية وأن 12,5% مصابون بالاكتئاب وأن 14,3% مدمنون بالخمور وأن 13,2% هم مرتكبي الجرائم. هذه إحصائيات محزنة لكنها ليست غريبة بين أناس اقتلعت جذورهم ويعيشون في حالة غير مستقرة ومستقبل مجهول وبقضي إيجاد حل سريع وجذري دائم لمشكلة النازحين إما العودة الي مناطقهم الأصلية أو إدماجهم في المجتمع المحلي. وقد درس شعيب جبريل عبد الله (1995) النزوح وأثره الاجتماعي والاقتصادي بولاية جنوب كردفان في الفترة من 1985 – 1995م وأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن التمرد في جنوب كردفان يختلف تماماً عن التمرد في جنوب السودان وذلك لأن أساس المشكلة قد نشأ من بعض الإجراءات الإدارية التي تنتج عن توزيع غير عادل لمشاريع الزراعية مما أفقد بعض المواطنين أراضيهم. وأثار آثار التمرد المباشر من النزوح أو تعطل لزراعة والأعمال الأخرى وقفل المدارس كان دفعا في حد ذاته لمزيد من التمرد مما أخل الأزمة في دائرة جديدة من المعارك والتشريد والتسليح واضطر بعض المواطنين والقيادات المحلية للانضمام للتمرد بسبب غياب سلطة الدولة الشرعية وهيمنة سلطة التمرد. هذا يوحي بأهمية توزيع الثروات ومشاريع التنمية بين الولايات بصورة عادلة يحد الكثير من المشاكل مثل الحروب. كما أن إغلاق المدارس في اي ظرف من الظروف يؤدي الي انجراف الشباب نحو كثير من الإجرام والتمرد فلقد أكدت الدراسات السابقة إيجاد أوقات فراغ كثيرة للشباب قد يكون سبب الانحراف وما يقوده إلي مشاكل كثيرة. ودراسة محمد النيل رحمة الله (1993) عن قضايا النزوح إلي العاصمة القومية (الخرطوم) تؤيد ذلك إذ انها تستنتج وجود قطاع كبير جداً من السكان وهم مستهلكين غير منتجين، ويمثل النازحون حوالي 80% من هؤلاء. وأن تقديم المساعدات المستمرة ينمي في النازحين روح الاعتماد علي الآخرين والعاطلة مع عدم الإحساس بالمسؤولية تجاه نفسه والوطن. علي أن أغلب المنظمات الطوعية العاملة في مجال النازحين يعتمدون علي تقديم العون العاجل للنازح وليس لديهم برامج تنموية وتأهيلية. والحقائق التي ذكرت تؤكد أن جزء كبير من المجتمع يعتمد على مساعدات ومعونات تقدمها المنظمات الطوعية. وهناك يبرز حتمية دور الحكومة في وضع برامج تخطيط تهدف الي تغيير سلوك هذه المجتمعات من الإتكالية وتكليف المنظمات الطوعية لتغيير استراتيجياتهم لتفقيذ مشاريع تنموية بدلاً من الإغاثة.

3. تاريخ العمل الطوعي في السودان

التطوع لغة ، هو نقيض الكره . تطوع به وتطوعه أي تكلف استطاعته وفي القرآن الكريم " فمن تطوع خيرا فهو خير له " "إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا " (الإنسان ، الآية 9) والتطوع هو ما تتبرع به النفس من غير إلزام ، كأنهم جعلوا التنفل هنا كالتطوع. وفي "لسان العرب"² لابن منظور، طوعت له نفسه تطوعاً أي شجعت وأعانت وأجابته إليه ، ورخصت له وسهلت وتطوع الرجل تطوعاً تكلف الطاعة ، وبالشيئ تبرع به وتنفل³ والتنفل نوع من التطوع وصلاة النافلة هي الصلاة غير المكتوبة التي يؤديها المسلم تطوعاً طلباً للأجر أما إصطلاحاً ، فالعمل الطوعي يقصد به نشاط طوعي إنساني خيري غير حكومي أو شبه حكومي يقوم به فرد أو منظمة ويكون النشاط ذا أغراض اجتماعية أو تنموية أو خدمية ، أو علمية ، مثل البحوث العلمية أو الدعوة الي الله لتعليم الآخرين، أو أنه قناعة مجموعة من الناس على اختلاف دوافعهم بفكرة تجعلهم يبذلون

2 الإمام جلال الدين محمد بن منظور المصري : لسان العرب المجلد الثامن الطباعة لبنان بيروت ص 241
3 المعلم بطرس البستاني : محيط المحيط – قاموس مطول اللغة العربية- الطباعة -بيروت لبنان ص560، 1977م

مجهودا معينا لتنفيذها وتحويلها إلى حقيقة ماثلة ، ويهدف العمل بصورة عامة يهدف إلى تحقيق مستوى أفضل للحياة اجتماعيا واقتصاديا وبيئيا دون أجر أو مقابل⁴. والعمل الطوعي لا يهدف إلى تحقيق الربح المادي وإنما يستهدف تلبية احتياجات عامة للمجتمع أو بعض فئاته أو أفراده ، ويتسع مفهوم العمل الطوعي ليشمل كل العمليات التي يبذلها المجتمع أو أفراده لإغاثة المحتاجين ومساعدتهم على توفير احتياجاتهم كأن توفر لهم عوامل الإنتاج ومدخلات إعادة التعمير⁵. والعمل الطوعي في السودان وليد البيئة الطبيعية والاجتماعية وهو قديم قدم المجتمع السوداني وما ورثته من الحضارات والقيم والأخلاق المستمدة من البيئة الاجتماعية من أشكال كثيرة فردية أو جماعية كالنغير مثل الفزع والختم وهي أن يدفع أو يساهم الشخص بمال في صندوق لصالح المجموعة ويستفيد من هذا المال كل مدة معينة ، مثلا أحد أفراد المجموعة كنوع من التعاون الجماعي⁶. وكل هذه الدلالات تمثل نظام المجتمع السوداني من تبادل الخدمات والمساعدة التي يقوم بها الأفراد القادرين من أهل منطقة ما لمساعدة أحد أفرادها . والمجتمع القبلي بطبيعته يقوم على الحياة الاجتماعية التي لها بناؤها الذاتي ، ونظام الأمن الاجتماعي الخاص بها والتي تقوم على المساعدة والتعاون المتبادل في أوقات الشدة ، والعائلة الممتدة ، والعشيرة والقبيلة هي في الأساس مؤسسة اجتماعية تؤمن الحماية الجماعية لهذه المجتمعات القبلية وتمارس العمل الخيري كأفراد أو مجموعات في شكل عون ذاتي يعبر عنها في النغير والفزع والموجب⁷. والعمل الطوعي يمثل قيمة إنسانية راقية وقد دعت كل الكتب السماوية والرسالات الربانية إليه . وحث الإسلام على العمل الطوعي ووردت نصوص وأدلة كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة المطهرة مؤكدة لهذه المفاهيم والمبادئ السليمة . ومن ذلك قوله تعالى: (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) سورة البقرة (261) يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية وهذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن انفق في سبيله وابتغاء مرضاته ، وان الحسنه تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف⁸. وقال تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) سورة الحشر (9) والإيثار هو تقديم الغير على النفس في حظوظ الدنيا رغبة في حظوظ الآخرة . والمعنى يقدمون المهاجرين على أنفسهم في حظوظ الدنيا (ولو كان لهم خصاصة) أي حاجة وفقير وقال تعالى (يطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا {8} إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) سورة الإنسان (7-9) .

أي أن قائلين بذلك بلسان الحال أو المقال إزالة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافأة ، أي لا نقصد بإطعامكم إلا ثوابه تعالى ، والتقرب إليه والزلفي عنده¹⁰ . وقال *وَجَفِي ثَلَاثُمُؤ (إِلَيْهِمْ حَقُّ لِّالسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)* الذاريات(19) . ومن الأحاديث النبوية التي وردت في تحريض الناس على العمل الطوعي وعمل الخير والإحسان والبر والصدقة. وقال صلي الله عليه وسلم: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا . وأشار بأصابعه السبابة والوسطى) أي من يقوم بأمره ومصالحه، لذلك قال ابن بطال: حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي صلي الله عليه وسلم في الجنة ، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك¹¹ . وفي رواية أخرى (أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة). ومدح صلي الله عليه وسلم الأشعريين بحسن صنيعتهم بقوله: (رحم الله الأشعريين كانوا إذا أرموا جمعوا طعامهم واقتسموا بالسوية)¹². والعمل الطوعي التقليدي في السودان قد استمد أصوله من القيم والثقافات المختلفة المستمدة من اراث المجتمع السوداني كالخلوة ، والتي تعتبر مؤسسة تربية تعليمية اجتماعية ، حيث برزت الخلاوي لتعليم القرآن والتكايا ومراكز الصوفية ومراكز رئاسة القبائل كمراكز تمارس فيها أنشطة

⁴ فهمي على . أسس وتنشيط مبادي العمل الطوعي – القاهرة المكتبة الحديثة ص 33 .
⁵ اتحاد الإحصائيين الاجتماعيين – نماذج من مشاركة الجمعيات التطوعية في التنمية – روي تحليلية حول تطبيق منهج تنظيم المجتمع في برامج التنمية الاجتماعية – قاعة الصداقة – 29- 31- 2000م .
⁶ صلاح عمر وآخرون – أوضاع المسنين في السودان – الجمعية السودانية لرعاية المسنين الطباعة – الخرطوم ص 56 ، 1991م
⁷ سمية إبراهيم على – الجمعيات الطوعية ودورها في نشر الوعي البيئي الجمعية السودانية لحماية البيئة نموذجاً – جامعة إفريقيا العالمية كلية الشريعة والدراسات والإسلامية ماجستير ص 101 ، 2001م
⁸ الإمام الحافظ إسماعيل بن كثير تفسير القرآن العظيم – المجلد الأول مؤسسة الريان للطباعة – قطر الطبعة الرابعة 1998م ص 413
⁹ الإمام محمد بن علي الشوكاني – فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير – الجزء الخامس – دار الفكر للطباعة والنشر – ص 201 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، 1980م
¹⁰ محمد جمال الدين القاسمي – محاسن التأويل - المجلد السابع دار الإحياء – للتراث العربي – لبنان بيروت ص 231 ، 1989 .
¹¹ بن حجر العسقلاني – فتح الباري – المجلد العاشر – ص 436 ، لبنان ، بيروت .
¹² الإمام الكاندهولي ، فتح الباري - شرح شرح صحيح الإمام البخاري – الجزء السادس – دار الريان – القاهرة ، 1986

أشبهه بأنشطة المنظمات في شكلها الحديث . وكانت مراكز لتوفير المأوى والمأكل والعون وملاذئ لكل المواطنين في فترات الشدة¹³ .

4. المنظمات التطوعية الأجنبية في السودان

عرف السودان العمل الطوعي المنظم في أشكاله الحالية منذ أواسط القرن العشرين حيث ظهرت الجمعيات الإرسالية التبشيرية الأوروبية في المدن خاصة (العاصمة الخرطوم) واتخذت لها أشكالاً خدمية مثل المراكز الصحية العلاجية (مثل مستشفى الراهبات) والتعليمية (مدارس الكمبوني) علماً بأن منتصف القرن التاسع عشر (1850م) كان قد شهد أول بعثة إرسالية من أوروبا إلى السودان¹⁴ . وفي حقبة ما بعد الاستقلال وبالتحديد عام 1957م صدر قانون تسجيل الجمعيات . كان ذلك بداية الأطار القانوني والتنظيمي للجمعيات الخيرية والذي يضبط حركتها في المجتمع فيما بعد إلى قانون العمل الطوعي . وفي سبعينات القرن العشرين بدأت المنظمات الطوعية الأجنبية الغربية – بشكلها الحالي – تظهر في السودان ، مثل منظمتي أوكسفام (Oxfam) البريطانية و كير العالمية (Care International) . كذلك فإن بداية ثمانينات القرن العشرين شهدت ظهور منظمتي الدعوة الإسلامية والوكالة الإسلامية للإغاثة وإن كانتا ذاتي طبيعة إقليمية وعالمية فقد اتخذتا من السودان رئاسة لهما ، واعتمدتا على الدعم الخيري من دول الخليج خاصة والعالم الإسلامي عامة . وقد ازداد نشاط هذه المنظمات مع كوارث الجفاف عام 1983م والتي ضربت السودان خاصة في غربه وشماله وقد تزامن ذلك أيضاً مع كوارث الحروب في جنوب البلاد (1983-2005م) والتي أدت إلى نزوح العديد من مواطني الجنوب نحو شمال البلاد . وكانت هذه الحقبة هي الميلاد الحقيقي للعديد من المنظمات الطوعية الوطنية واستمرت أعدادها في النمو حتى بلغ نيفاً وأربعمئة منظمة كذلك قد شهدت هذه الحقبة أيضاً تدفق المنظمات الطوعية الأجنبية (خاصة الأوروبية والأمريكية) التي جاءت بدعوى تقديم العون الإنساني لمنكوبي الكوارث الطبيعية (الجفاف) والاصطناعية (الحروب في جنوب السودان) . ولقد لعبت عملية شريان الحياة وهي عملية الإغاثة الطارئة لمتضرري الحرب في جنوب السودان والمستمرة منذ 1989م وحتى 2005م والتي تشرف عليها الأمم المتحدة ، الدور الأساسي في فتح الباب على مصراعيه لتتدفق منه المنظمات الأجنبية والتي تجاوز عددها الأربعين منظمة . كان ذلك تلبية لرغبات المانحين وجلبهم من الدول الغربية . لم تكف إدارة عملية شريان الحياة بذلك بل شجعت حركة المنظمات الأجنبية إلى جنوب السودان في المناطق التي تحتلها حركة التمرد عبر الحدود السودانية البوغندية والسودانية الكينية ، وهي ما تعرف بعمليات عبر الحدود (Cross-border Operations) . وبمرور الزمن وصلت البلاد خاصة بعد مجاعة جفاف 1983م العديد من المنظمات القادمة من العالم العربي والإسلامي مثل منظمة الدعوة الإسلامية والوكالة الإسلامية للإغاثة والهيئة العالمية لتنمية جنوب الصحراء ومنظمة البر الدولية وهيئة الأعمال الخيرية والإغاثة الإسلامية وغيرها ولمس السودان منها صداقة ومودة وتعاوناً وأجندة صديقة . كذلك فقد نشطت أشكال العمل الطوعي المؤسس مثل الدفاع الشعبي والشرطة الشعبية وزاد المجاهد ومنظمة الشهيد والإيثار وشباب الوطن وشابات الوطن . وقد أسهمت كل هذه الجمعيات بفعالية في ظل الحصار الخارجي في تجاوز الأزمات التي لحقت بالمجتمع جراء الحرب الأهلية والغزو الأجنبي . كما شهدت نشأت مفوضية العمل الطوعي والغزو الأجنبي ومفوضية العمل الطوعي وبعض المؤسسات التي تسعى لتدريب كوادر العمل الطوعي مثل معهد دراسات الكوارث واللاجئين¹⁵ .

مصطلح المنظمات الأجنبية يطلق عادة على المنظمات القادمة من خارج حدود البلاد . ويشمل المنظمات غير الحكومية (NGOs) ومنظمات الأمم المتحدة مثل برنامج الغذاء العالمي (WFP) واليونيسيف (UNICEF) ومنظمة الصحة العالمية (WHO) ومنظمة الأغذية والزراعة (FAO) وغيرها . كذلك فإن المصطلح يشمل المنظمات الحكومية التابعة مباشرة للدول الأجنبية التي تقدم العون الثنائي ، (Bilateral) مثل الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية (USAID) المعروفة بالمعونة الأمريكية والتابعة للولايات المتحدة الأمريكية وكذلك إدارة التنمية لما وراء البحار (ODA) التابع للملكة المتحدة (وأسمها الآن إدارة التنمية الدولية *Department for International Development: DFID*) ووكالة التنمية الدولية الكندية (CIDA) ووكالة التنمية الدولية السويدية (SIDA) و (GTZ) الألمانية وغيرها . والمصطلح نفسه لا يحمل محددات واضحة لمعنى الأجنبية . فإن كان يقصد بالأجنبية تلك المنظمات غير السودانية ، فسوف يدخل في هذا التعريف كل المنظمات ذات المنشأ العربي والإسلامي والدول الصديقة الأخرى والتي تتطابق أهدافها ودوافعها مع أهداف ودوافع المنظمات الوطنية

¹³ محمد حبيب بابكر – المنظمات التطوعية ودورها التعليم بجمهورية السودان – دراسة ميدانية بولاية الخرطوم - جامعة ام درمان الإسلامية كلية التربية والدراسات العليا ماجستير ص 7 ، 1999 .

¹⁴ حسن سعيد المجرم . دور المنظمات التطوعية في تنمية المجتمعات المستهدفة، - دراسة تطبيقية على منظمة البر الدولية 1990-2000م) ، بحث ماجستير ، معهد دراسات الكوارث واللاجئين ، جامعة أفريقيا العالمية -

¹⁵ عبد الرحمن احمد عثمان - العمل الطوعي مفاهيمه النظرية تطبيقاته العملية في ظل العولمة والنظام الجديد ص 52-60

التي ترعى مصلحة الوطن العامة خاصة تلك التي تقوم أهدافها علي قيم الدين و علي عمل الإحسان والبر لبثغاءاً للأجر في الدار الآخرة . وكلمة الأجنبية في العمل التطوعي صار تعني في المقام الأول المنظمات القادمة من خارج الحدود وبالتحديد من دول النفوذ السياسي العالمي الأوربي والأمريكي والتي تخالف أهواؤها وأهدافها وأجندتها تلك التي للبلد الذي تعمل فيه . وحتى ولو كانت هناك منظمات وطنية تعمل ضد وطنها وتتطابق أهواها مع المنظمات الأجنبية ، فإن هذه المنظمات الوطنية يمكن أن تصنف بأنها أجنبية . ومن أهم السمات التي تميز المنظمات الأجنبية هي أنه يطغي علي إدارتها العنصر الأجنبي وليست لها مرجعية تقوم علي المفاهيم والقيم الدينية ورجاء الأجر في الآخرة ، كما هو الحال في العمل الطوعي في العالم الإسلامي وتمتاز بالقدرات المالية والامكانيات الهائلة والكوادر المدربة . وقد تكون مشحونة بأجندة دول المنشأ (خاصة دول النفوذ العالمي أوروباً وأمريكاً) أو لها نفس سلطاني نافذ مستمد من سلطان دول النفوذ وجرأة علي استعداد الأسرة الدولية ودول النفوذ علي الدول غير ذات النفوذ وذلك لتحقيق أجندتها . وفي بعض الأحيان لا تخفي العداوة والتحرش بدول المنافسة الحضارية وهي دول العالم الإسلامي . وبالتالي فإن هذا يوحي بأنها لا تهتم بالمصلحة الحقيقية للدول المستهدفة (مثل دعم التنمية) فهي تركز علي العون الإغائي وتمكين التبعية وروح الاعتماد علي الغير كما يأتي في عوض خليفة (2008) .

5. نماذج المنظمات الأجنبية غير الحكومية

لعله من المفيد أن نذكر أن أشهر المنظمات التطوعية الأجنبية التي عملت في السودان وهي منظمة كير العالمية (Care International) ومنظمة الطفولة البريطانية (Save The Children =SC-UK) ومنظمة الطفولة الأمريكية (Save The Children =SC-USA) ولجنة الإنقاذ الدولية (IRC) والعون الكنسي النرويجي (NCA) وأوكسفام (Oxfam) وكونسيرن (Concern) و World Vision وأطباء بلا حدود الهولندية (MSF- Holland) وأطباء بلا حدود الفرنسية (MSF- France) ومنظمة العمل ضد الجوع الفرنسية (Action Contre La Faim= ACF) ومنظمة زملاء الإغاثة الأفريقية (FAR) الكندية . الجدول رقم (1) يوضح مناشط أهم هذه المنظمات ، ويلاحظ عدم إهتمام هذه المنظمات بتوفير خدمات التعليم ما عدا ما جاء في مجالات عمل منظمة إنقاذ الطفولة البريطانية ومنظمة إنقاذ الطفولة الأمريكية التي تقدم خدمات تعليمية عامة للنازحين وغير النازحين¹⁶ .

جدول رقم (1) أنشطة أهم المنظمات التطوعية الأجنبية الغربية في السودان

المنظمة	الجنسية	مجالات العمل
منظمة كير العالمية – السودان	عالمية ورئاستها في الولايات المتحدة الأمريكية	إغاثة ، تنمية مجتمع – رعاية طفولة
منظمة إنقاذ الطفولة البريطانية	بريطانية	إغاثة ، خدمات صحية ، خدمات تعليم محدودة في معسكر النازحين بجبل أولياء
إنقاذ الطفولة الأمريكية	الولايات المتحدة الأمريكية	إغاثة ، صحة وتغذية ، مياه ، بيئة ، خدمات تعليمية.
أطباء بلا حدود الهولندية	هولندا	رعاية صحية – تدريب – تنمية مجتمع
أطباء بلا حدود الفرنسية	فرنسا	خدمات صحية – مياه شرب – إصباح بيئي – تغذية
منظمة أوكسفام البريطانية	بريطانية	تنمية مجتمع – إغاثة مياه شرب
منظمة زملاء الإغاثة الأفريقية (فار ، FAR)	كندا	إغاثة ، مياه شرب ، صحة
منظمة العمل ضد الجوع Action Contre La faim (ACF)	فرنسا	خدمات صحية – مياه شرب – إغاثة
لجنة الإنقاذ الدولية (IRC)	الولايات المتحدة الأمريكية	صحة – تنمية مرأة
وكالة التعاون وبحوث التنمية (أكورد)	بريطانية	تنمية – رعاية إجتماعية
وكالة الأدفنتست العالمية للتنمية والإغاثة (أدرا)	عالمية ورئاستها في أمريكا	إغاثة – صحة ، مياه

¹⁶ هيئة منظمة إنقاذ الطفولة الأمريكية ، نبذة عن قطاع التعليم ، مارس 2009م

6. مجالات العمل الطوعي العربي والإسلامي

مجالات العمل الطوعي واسعة لذلك لا يمكن لشخص أو مجموعة ، أو منظمة ذات إمكانية محدودة العمل في كل هذه المجالات في أن واحد ، مثلاً برنامج متطوعي الأمم المتحدة تستهدف كل من المجالات الصحية ، الزراعية ، الشؤون الاجتماعية التدريب المهني ، رعاية البيئة ، السكان ، الاتصالات ، الإعلام تقنية المعلومات ، وكذلك أعمال الإغاثة الإنسانية¹⁷ . وتتنحصر مهام المنظمات الطوعية الأجنبية في الجوانب الاجتماعية والإنسانية مثل الاغاثات للمتضررين من الكوارث بأنواعها كالنزوح واللجوء وضحايا الحروب . وهناك روابط واتحادات وجمعيات خيرية . وهذه الجمعيات تعمل في مجالات مختلفة كالإغاثة والتنمية والدعوة الشاملة ... الخ . وهي جمعيات اجتماعية إنسانية تعتمد على الهبات والتبرعات وكذلك المنظمات الوطنية التي ترعاها الدولة وهي منظمات رسمية وشبه رسمية كالدفاع الشعبي والشرطة الشعبية ومنظمة شباب الوطن¹⁸ . وهناك مجالات تهتم بها المؤسسات الخيرية الإسلامية أو المنظمات التطوعية الإسلامية كجملة الأيتام وإفطار الصائمين وغيرها وسوف أتناول بالتفصيل هذه المجالات التي تعمل بها المؤسسات الخيرية الإسلامية وحينما نتحدث عن العمل الطوعي يتبادر إلي الأذهان المنظمات الطوعية الغربية بدلا من المؤسسات أو المنظمات الإسلامية لذلك سوف أتناول في هذا المبحث مساهمات المنظمات أو المؤسسات الخيرية الإسلامية في هذه المجالات ذاكرا بعض المؤسسات الخيرية المشهورة وما قامت به من مساهمات .

وتعتبر المنظمات الطوعية بمختلف مستوياتها عالمية سواء كانت دولية ، أم وطنية أو حكومية أو شعبية الحقول الرئيسية والأساسية لنظريات العمل الطوعي في مجالات محاربة الفقر والأوبئة والأمراض والتنمية وإصحاح البيئة وفي مجالات فض النزاعات وبناء السلام ونشر ثقافة السلام وحقوق الإنسان ومحاربة التمييز وحماية الطفولة والأمومة ومحاربة العادات الضارة وبناء القدرات وغيرها من المجالات المختلفة¹⁹ . وقد ذكرت الإستراتيجية القومية الشاملة بأربعة مجالات للعمل الطوعي وهي المجال الإصلاحي ويشمل الرعاية والاجتماعية ورعاية الأحداث المشردين والجانحين ، ورعاية السجناء ومكافحة المخدرات والخمور والعادات الضارة . ويشمل كذلك المجال الوقائي مثل الشرطة الشعبية والمطافئ والدفاع المدني ورعاية الأطفال والشباب وحماية ورعاية صحة البيئة . وأن لها عمل في المجال الخدمي والتنموي ويشمل مشاريع الأحياء السكنية ومشاريع التنمية الشعبية ودعم الأسر المنتجة . ومنها من يعمل في مجال الأوقاف الخيرية²⁰ .

بصفة عامة يمكن أن تنحصر مجالات العمل الطوعي في الأمن الغذائي والتغذية والزراعة . وتعمل بعض منظمات العمل الطوعي على إنقاذ حياة الناس الذين يعانون من سوء التغذية فتقوم بتوزيع الأغذية للمحتاجين وتدعم الزراعات المحلية من خلال إضافة موارد جديدة للبذور ، والأدوات ... الخ . ويسجل أن بعضها له عمل في المياه والصرف الصحي كتوفير المياه النقية للشرب مع إصحاح البيئة سعياً لتحسين وضع الصحة في المجتمع ومنع انتشار الأمراض . وفي مجال الصحة تسعى لتحسين حالة الصحة العامة في المجتمع وفي الطفولة والأمومة تهدف إلي رعاية صحة المرأة وتغذيتها وعلى رعاية طفلها الصحي والغذائي . أما في مجال التربية والتعليم فتهدف إلي توفير فرص التعليم وتحسينه سعياً منها لمحاربة الأمية في المجتمع وفي الإغاثة توفر المأكل والمشرب والمأوى والملبس . أما في مجال إعادة التعمير والتوطين فتهدف إلي إعادة التعمير للأماكن المتضررة من جراء الكوارث وعلى إعادة توطين المتضررين من هذه الكوارث . هذا مع استهداف النازحين واللجئين وخدمتهم حتى عودتهم إلي أماكنهم الأصلية . وقد برز دوراً جديداً وهو في التمييز ضد المرأة وتهدف في هذا المجال إلي محاربة كافة أشكال التمييز ضد المرأة وعلى تنميتها مع تطوير التنمية وخاصة التنمية الريفية . وثقافة السلام هو مجال هام تعمل فيه بعض المنظمات ويهدف إلي نشر ثقافة السلام بين المجتمعات التي تعاني من ويلات الحرب والنزاعات كما أنها تعمل على فض النزاعات . هذا يتطلب بناء القدرات لدى الأفراد وذلك بتدريبهم على مهارة معينة حتى يتمكنوا على القيام بعمل يوفر لهم الدخل مع محاربة العادات الضارة لدى المجتمعات والتي تكون غالباً من معوقات تنمية تلك المجتمعات . وهناك المجموعات الخاصة وتهدف إلي دعم الفئات الخاصة من المجتمع المسنين والمعاقين والمشردين والأيتام وغيرهم²¹ .

17 تاكتي بيير ماري – التنسيق بين المنظمات التطوعية في السودان دراسة مقارنة في المجلس القومي للجمعيات في السودان – جامعة

إفريقيا العالية – معهد دراسات الكوارث واللاجئين ماجستير ص 11

18 عمر سعيد احمد محمود – دور المنظمات الطوعية في كفاية الأيتام وأثرها على توافقهم النفسي والاجتماعي في ولاية الخرطوم في

الفترة من 1995 - 2000 جامعة إفريقيا معهد دراسات الكوارث واللاجئين ماجستير ص 16

19 عبد الرحمن احمد عثمان العمل الطوعي مفاهيمه النظرية وتطبيقه العلمية مصدر سابق ص 29 - 30

20 جمهورية السودان الاستراتيجية القومية الشاملة 1992 – 2002م المجلد الأول مطبعة جامعة الخرطوم الطباعة الثانية ص 55

21 جمهورية السودان الاستراتيجية القومية الشاملة ، 1992-2002م ، المجلد الأول ، مطبعة جامعة الخرطوم ، الطبعة الثانية ، ص 55

وينحصر عمل المنظمات الطوعية في مجالين ، الأول يقع وسط الجماعات التي تجاوزتها خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية الكبرى والثاني وهو في حالة الكارثة التي لا تقدر إمكانات الدولة في احتوائها وتسمي الإغاثة العاجلة . وفي هذين المجالين فان المنظمات تؤدي عملاً يمكن تلخيصها فيما يلي :

التنمية الاجتماعية : تعمل المنظمات في التنمية الاجتماعية في برامج تنمية وتطوير القطاعات المميزة ويشمل ذلك برامج تطوير قطاعات النساء والأطفال والمعوقين وكذلك في برامج تطوير المجتمعات التي تهدف إلى زيادة قدرة الأفراد وتشمل هذه البرامج التدريب أثناء الخدمة لرفع الكفاءة المهنية بالبرامج الخاصة بتنمية المهارات في مجالات التغذية والبناء والخيطة ... الخ كذلك برامج محور الأمية الوظيفي ثم تدريب المدربين . أما في مجال التنمية الاقتصادية فإن برامج المنظمات تهدف إلى رفع دخول المشاركين ، وخلق فرص عمالة لتحقيق الاعتماد على الذات . وتمثل هذه الأهداف في برامج تنمية المهن اليدوية وتطوير الجمعيات التعاونية والعمل في الإرشاد الزراعي والبرامج الخاصة بتطوير الغابات وتربية الحيوان والبساتين²² . وفي مجال الصحة تقدم المنظمات برامج في الصحة الأولية والتغذية ومكافحة الاسهالات للأطفال والأمراض المعدية صحة الأمومة والطفولة وتحديد النسل (تنظيم الأسرة) . وتقدم أيضا برامج في الصحة الثانوية وتشمل أعمال تطوير المستشفيات والمراكز الصحية وبرامج صحة البيئة والبرامج الخاصة للمعوقين . على سبيل المثال فإن منظمة الدعوة الإسلامية أنشأت 290 وحدة صحية ورعاية طبيه بها. وفي مجال الإغاثة تركز في برامج الإنقاذ الصحية وبرامج توزيع الغذاء وإدارة مراكز التغذية وتوزيع المستلزمات الضرورية الأخرى من كساء ومأوي²³ . فقد ذكر الدكتور السلومي تسع مجالات تعمل فيها المنظمات والهيئات الخيرية الإسلامية ونذكرها كما يلي :

بناء المساجد :

هناك أثر كبير للمساجد كصمام أمان للمجتمعات ومطلبا ملحا من الشعوب والأقليات الإسلامية في هذا الجانب المهم من التنمية والتربية . وقد تنافست هذه المؤسسات في إنشاء المساجد مثل منظمة الدعوة الإسلامية التي أنشأت أكثر من ألف مسجد في الفترة من 2006-2007م داخل السودان وخارجه. وتشبيدها في بقاع إسلامية كثيرة حيث بلغ مجموع المساجد التي أنشأتها بعض المؤسسات الإسلامية الخيرية الدولية خارج حدودها واغلبها في قارات آسيا ، وأفريقيا ، وأوروبا ، ما يزيد عن 127.423 مسجدا قدرت تكاليفها بما يقارب 126 مليون دولار قد حازت لجنة مسلمي أفريقيا المرتبة الأولى في هذا الشأن حيث شيدت خلال الفترة من 1401 هـ 1422 هـ ما يزيد على 2150 مسجدا في قارة إفريقيا ثم تلتها الندوة العالمية للشباب الإسلامي والتي أنشأت خلال الفترة من 1418 هـ 1422 هـ (1751) مسجدا كما رفعت مؤسسة الحرمين 1200 مسجدا خلال الفترة 1999-2000 وأنشأت الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية الكويتية (177) مسجدا في الفترة 1419 - 1421 هـ كما أقامت عرف مؤسسات خيرية إسلامية أخرى إعداد أخرى من المساجد والمصليات في أنحاء المعمورة والمساجد وتلك الدور الإمرافي أمن وشواطئ تصفو عندها النفوس وتضمحل منها عوامل الشر ونزعات الفساد ، وفي ذلك ما فيه من خير تمتد به أيادي هذه المؤسسات الخيرية وتعم نفعه .

التعليم والمنح الدراسية

يشكل التعليم أو لوية مشهودة في العمل الخيري نظرا لمكانة التعليم في الإسلام ولبقيين القائمين على هذا العمل أن الجهل هو عدو البشرية الأول ، لذلك جعلته الخيار الأول في تنميتها للمجتمعات الفقيرة والمختلفة ، فبادرت لتشييد المرافق التعليمية المتنوعة كمرافق مستقلة من المدارس الابتدائية إلى الجامعات والكليات والمعاهد العليا في بلاد عجز أهلها عن تمويل تلك المشروعات كما شيدت المدارس لتعليم القرآن الكريم، والمراكز الإسلامية الشاملة والتي تربي الناس على الفضيلة والطهارة وحب الخير للغير مهما كانوا ومن أمثلة ذلك منظمة الدعوة الإسلامية التي أنشأت 550 مؤسسة تعليمية في مختلف المراحل الدراسية من مدرسة تحفيظ القرآن الكريم حتى الجامعة تستوعب 130450 طالب وطالبة.

المرافق التعليمية التابعة للمساجد

كان للجنة مسلمي إفريقيا على سبيل المثال (980) مشروعا تعليميا منها (140) مدرسة نظامية و(840) مدرسة لتعليم القرآن و3 جامعات لتخريج المعلمين في كل من زنجبار وتنزانيا وكينيا والصومال ، كما شيدت الندوة العالمية للشباب الإسلامي (819) مشروعا تعليمياً . كذلك فإن جمعية قطر الخيرية، ومؤسسة عيد آل ثاني القطريتين قامتا بانجاز (25) مشروعا تعليميا خلال الفترة من عام 1999 -2001م. وهذه المؤسسات الخيرية لا تقوم فقط بوضع البنية للمرافق التعليمية بل تنفق عليها النفقات التشغيلية كليا أو جزئيا، ومثال ذلك فان لجنة مسلمي إفريقيا تشغل (140) مدرسة نظامية و (840) مدرسة لتعليم القرآن الكريم وتوفير المباني والرعاية الصحية للطلاب والعاملين في حقل التعليم ، وهناك جمعيات برزت بأعمال ذات أبعاد اجتماعية واقتصادية أو

²² عمر بشير إبراهيم - المنظمات التطوعية غير الحكومية الأجنبية وتجربتها في الإغاثة والتنمية بالسودان لتركيزها على نشاطها في حقل الجهات الصحية بإقليم دارفور جامعة الخرطوم قسم الإدارة العامة ماجستير مراس 1992م .

²³ عمر بشير إبراهيم - المنظمات التطوعية غير الحكومية الأجنبية وتجربتها في الإغاثة والتنمية بالسودان لتركيزها على نشاطها في حقل الجهات الصحية بإقليم دارفور جامعة الخرطوم قسم الإدارة العامة ماجستير 1992م .

تعني المرأة والطفولة والشباب على سبيل المثال لا الحصر ما قامت به مؤسسة الوقف الإسلامي من إنشاء (7) معاهد متخصصة لإعداد المعلمين والدعاة المحليين ومراكز ثقافية²⁴ كل ما حلت الكوارث والأزمات فإن المنظمات الخيرية الإسلامية درجت على تقديم العون الإغاثي للمتكوبين. غير أن هذه المنظمات لم تهتم في بادئ الأمر بالتوثيق الدقيق لمعوناتها. وفي التقارير السنوية لهذه المنظمات بعد التوثيق ساهمت منظمة الدعوة الإسلامية بإقامة أكثر من 159 مركزاً للنازحين واللاجئين و15 مركزاً لتأهيل الأطفال المشردين كما وزعت ما قيمته 15.225.000 دولار أمريكي من الملابس والخيام والأدوية والمواد الغذائية والمعدات الطبية والأجهزة الكهربائية وغيرها في الفترة من 2006-2007م. كما ساهمت مؤسسة المنتدى الإسلامي حسب تقرير عام 1423هـ بإغاثة مليون ونصف شخص تقريبا، وأنفقت الندوة العالمية للشباب الإسلامي على ما يزيد عن مليوني شخص في إفريقيا وآسيا ودول البلقان خلال عام 1422هـ كما قدمت الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية الكويتية عوناً إلى ما يزيد على ثلاثة ملايين ونصف من طالبي المساعدات ما بين 1419-1421هـ. والكثير من هذه المؤسسات تعتبر الإغاثة من البرامج العرضية التي تنشأ لحظة وقوع الكوارث ولذلك قلما يوجد بيانات وإحصائيات لمثل هذه الأنشطة إلا من خلال مجمل التقديرات المالية كما أن بعض المؤسسات يشارك من خلال منظمات الأمم المتحدة فمن ذلك جمعية قطر الخيرية التي هي عضو في منظمة اليونيسف، ومنظمة الصحة العالمية ومتعاونة مع برامج الخليج لدعم منظمات الأمم المتحدة، ومتعاونة مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في الفترة 1998-2000م²⁵.

مجال الصحة

بلغ إجمالي المخيمات الطبية التي أقامتها بعض المؤسسات الخيرية الإسلامية في شتى أصقاع العالم أكثر من (506) مخيما طبييا في إفريقيا وآسيا وأوربا. بلغت تكاليفها أكثر من (26) مليون دولار، وذلك لمعالجة كافة الأمراض الفتاكة وغير الفتاكة هذا غير المستشفيات الميدانية التي تقام في ساعات الكوارث والحروب وغير ما ينفق في تشغيل وصيانة هذه المرافق الصحية الحيوية وقد بنت وشغلت لجنة مسلمي إفريقيا (129) مستشفىاً ومركزاً صحيا تحت إشرافها المباشر كما أن الندوة العالمية للشباب الإسلامي قدمت برامج صحية حسب تقرير عام (1422) استفاد منها أكثر من (121154) مريضا كما حققت البرامج الموسمية نجاحا ملحوظا في بعض المواقع والتي من ضمنها بعض البرامج الصحية وقد استفاد منها ما يقارب (320-530) مستفيدا علما بأن الكثير من المؤسسات الخيرية لا تتوفر لديها إحصائية منفصلة عن الخدمات الصحية وإنما يكون ضمن بنود أخرى، كبنود الخدمات الاجتماعية أو بنود المخيمات والقوافل، أو بنود المشاريع أو بنود الصدقة الجارية التي من ضمنها تكون البعثات الطبية لذلك من الصعوبة بإمكان رصد هذه الخدمات بالكم المالي أو عدد المستفيدين.

هناك مؤسسات خيرية متخصصة فلما توجد لها مثل في النمط الغربي للعمل الخيري ومن هذه الأمثلة، مؤسسة البصر الخيرية العالمية والتي تعني بالذين حرموا الرؤية وأظلمت الدنيا في وجوههم فتكثروا الطريق، فامتدت إليهم الأيدي الرحيمة من هذه المؤسسات فكانت بفضل الله ثم جهودها الخيرية خلال ثلاثة عشر عاما أن قامت (447) مخيما لعلاج البصر وأقامت (1.558756) عيادة وأجريت على حسابها عمليات جراحية في أكثر من ستة مستشفيات في أنحاء العالم بسعة قدرها (190 سريرا) كما بلغ عدد مرضاها (1.405811) مريضا أجريت فيها (97890) عملية من (130.911) عملية جراحية، وزراعة (51441) عدسة داخل هذه المستشفيات، كما أقامت (424) مخيما في برامجها المعروف بقوافل النور بلغ عدد المرضى عيادات تلك المخيمات (146.322) مريضا وأجريت فيه (123.543) عملية ووزعت (355033) نظارة وزرعت (39043) عدسة حيث عاد هؤلاء المرضى يرون الوجود من حولهم جميلا فازدانت الدنيا في عيونهم وترعرع الأمل في قلوبهم وأحبوا عالمهم الذي يرعاهم²⁶. هذه الحملات والمخيمات لمؤسسة البصر غطت 38 دولة من قارتي آسيا وإفريقيا. كذلك قدمت مؤسسة المنتدى الإسلامي العلاج ل(12647) مريضا حسب تقرير عام 1423هـ لقد ثبتت هذه المؤسسة على أرض الصومال بعد أن أسحبت منها المنظمات الغربية بسبب المخاطر كما إن مؤسسة الوقف الإسلامي عالجت أكثر من 2400 مريضا عام 1421هـ وكذلك جمعية قطر الخيرية الإسلامية قدمت خدماتها إلي ما يزيد تقريره على (4800) مريضا من خلال (32) مركزا صحيا أنشأتها في عام 1999-2000م.

مجال إقطار الصائمين

يعتبر هذا المشروع من المشروعات الايجابية خاصة بين الأقليات المسلمة والمناطق الفقيرة في أنحاء العالم وقد بلغت الوجبات التي قدمت في برامج إقطار الصائم من قبل بعض المؤسسات الخيرية أكثر من (45) مليون وجبة بلغت تكاليفها ما يزيد على (4606) مليون دولار حيث ساهمت مؤسسة الحرمين الخيرية بتوزيع (25) مليون وجبة الإقطار خلال الفترة من 1412 - 1421هـ ثم الندوة العالمية للشباب التي أقامت بتوزيع (3.1) مليون وجبة خلال الفترة 1418-1422هـ ووزعت الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية الكويتية حوالي (2) مليون وجبة

²⁴ محمد عبدالله السلومي، القطاع الخيري ودعاوي الإرهاب، مصدر سابق، ص74

²⁵ محمد عبدالله السلومي، القطاع الخيري ودعاوي الإرهاب، مصدر سابق، ص75

²⁶ محمد عبدالله السلومي، القطاع الخيري ودعاوي الإرهاب، مصدر سابق، ص77

خلال 1219 - 1422 هـ تم لجنة مسلمي إفريقيا التي وزعت مليون وجبة غير أن الكثير من هذه المؤسسات تعمل برنامج إبطار الصائم ضمن ميزانيات البرامج المؤسسة أو البرامج الاغاثية .
كفالة الأيتام

من أنبل الخدمات الإنسانية رعاية الأيتام وكفالتهم بشكل كامل حيث ساهمت منظمة الدعوة الإسلامية بكفالة 16850 يتيماً وأسرة فقيرة في الفترة من 2006-2007م كما ساهمت بعض المؤسسات الخيرية الإسلامية في هذه البرامج بما فاق (49) مليون دولار على عدد بلغ ما يقارب ب(102686) يتيماً وقد شملت تلك الكفالات جوانب الغذاء والكساء والتعليم وقد جاءت الندوة العالمية للشباب في المقدمة بكفالتها لعدد (31924) يتيماً خلال خمس سنوات ، وتلتها كل من جمعية قطر الخيرية التي كفلت (16192) يتيماً خلال عامي 1999 - 2000 ثم مؤسسة مكة الخيرية حيث كفلت (10903) يتيماً من اليتامى خلال الفترة 1416 - 1422 هـ ولجنة مسلمي إفريقيا (10.000) يتيماً منذ عام 1401 هـ وحتى 1422 هـ ثم الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية الكويتية (5289) يتيماً في الفترة من (1419 - 1421 هـ) و (2245) يتيماً كفلتهم مؤسسة عيد آل ثاني القطرية
توزيع لحوم الأضاحي

الكثير من الأسر يؤلمها أن يأتي عيد الأضحى في بلاد المسلمين لا تستطيع إن تأكل كما يأكل الناس حتى في هذه المناسبة ، حيث لا تملك ما تأكله فكيف تقدم الأضحية اقتداء برسولها ؟ وهذا الواقع مما ينقص مظاهر الفرحة في عيدهم فإكن لزاما على هذه المؤسسات أن تساهم في إدخال عوامل البهجة والسرور على الأطفال ، والأيتام ، والنساء ، والأرامل من الفقراء والمساكين. ولقد وزعت الندوة العالمية للشباب ما يقارب (104) ألف أضحية خلال الفترة 1418 - 1422 هـ كما وزعت الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية الكويتية (84180) أضحية تقريبا خلال الفترة 1419 - 1421 هـ ثم جمعية قطر الخيرية وزعت ما يقارب (3300) أضحية خلال الفترة 1999 - 2000 غير أن إجمالي ما وزعته بعض هذه المؤسسات التي توفرت عنها بعض المعلومات (705.342) أضحية قدرت تكاليفها ب(21.90) مليون دولار تقريبا .

الخدمات الاجتماعية
للمراكز التأهيل والتدريب المهني وغيرها أهمية بالغة لأنها تجعل من الأفراد كوادر منتجة لا مستهلكة فقط ، وقد كان لها نصيبها من الاهتمام حيث بلغت إعداد هذه المراكز المختلفة الوظائف والمتعددة المواقع والمنتشرة في معظم القارات ما يقارب (1817) مركزا كما بلغت تكاليفها ما يقارب (63.4) مليون دولار وقد ساهمت الندوة العالمية للشباب الإسلامي بدعم وبناء (924) مركزا خلال الفترة من (1418 - 1422) هـ ولجنة مسلمي إفريقيا ببناء (30) مركزا للتأهيل والتدريب خلال الأعوام (1401 - 1422) و(25) مركزا اجتماعيا أسستها جمعية قطر الخيرية لمعالجة النقص في التأهيل المهني خلال عامي (1999 - 2000م) كما أسست الهيئة الخيرية الإسلامية الكويتية 22 مركزا خلال الفترة من 1419 - 1421 هـ في مجالات العمل الطوعي والخيري توضح إسهامات المؤسسات الخيرية الطوعية الإسلامية وما تقوم به من خدمات اجتماعية وصحية وتعليمية وثقافية .

7. مشاكل العمل الطوعي في السودان

هناك تقارير عديدة عن تجاوزات لبعض المنظمات الطوعية الغربية حدود العمل الإنساني حيث تخدم لأغراض خاصة وأجندة خفية تحت ستار العمل الإنساني وغالبا ما تكون لصالح دول النفوذ لذلك اهتم بعض الباحثين والكتاب وخاصة المهتمين بقضايا العمل الإنساني والطوعي والإشارة بعض هذه التجاوزات انتباهها للمنظمات الإنسانية أو الطوعية بأخطائهم ولتأخذ الحذر والحيطه منها الدول التي تعمل هذه المنظمات في أراضيها ولهذا أتناول في هذا المبحث مشاكل العمل الطوعي في السودان مع التركيز في عملية شريان الحياة في جنوب السودان إضافة إلي ذلك سوف اخذ نماذج من بعض الدول النامية التي سبقت لها أن عملت هذه المنظمات مشاكل مماثلة في أراضيها. قامت عملية شريان الحياة في جنوب السودان على اتفاقية ثلاثية بين الحكومة السودان والأمم المتحدة والحركة الشعبية لتحرير السودان منذ عام 1989م وسنويا يقوم شريان الحياة بمراجعة هذه الاتفاقية . وتعتبر مدينة لو كيشيكوا الكينية الحدودية القريبة من الحدود الكينية السودانية مقرا رئيسا للقطاع الجنوبي لشريان الحياة كما تعتبر كينيا أكبر تجمع اكبر تجمع للمنظمات الأجنبية في المحيط الإقليمي حيث توجد بها (1021) منظمة منها (36) منظمة تابعة لشريان الحياة و(48) منظمة تعمل خارج شريان الحياة وتقوم بدعم حركة التمرد²⁷. ومن أهم مشاكل العمل الطوعي الأجنبي في السودان وبعض الدول الأخرى النامية الاستمرارية والاعتمادية واستغلال الإغاثية في تغيير الدين والثقافة وتوزيع الأطعمة والأدوية الفاسدة والحرب الاقتصادية الضمنية (المضمنة في تقديم الإغاثية) وانتقاص سيادة الدول والانحراف عن الأهداف . هذا بالإضافة إلي الإغاثية والتطوع لغرض التنصير والجنس مقابل الغذاء والاختراق .

²⁷ ربيع عبد العاطي عبيد - القوات الدولية الخطر القادم (دروس للسودان) شركة مطابع السودان للعملة المحددة ص 96

والاستمرارية الاعتمادية للمساعدات الغذائية الناقصة إذا ما أضفنا أن يستمر إهمال إعادة التعمير والتركيز على الإغاثة فقط ينتج عنها أن يستمر المتضررون على الاعتماد على الإغاثة في معيشتهم علي غيرهم . إذا فاستمرارية العون الاغاثي إلي الاعتمادية (Dependency) . وهكذا أوجدت الإغاثة مجتمعا اتكاليا يعتمد على غيره وينتظر الإغاثة متى تصل ويحجب عن العمل حتى ولو توفرت فرص العمل . وهذا ما يشاهد في معسكرات النازحين عام 1990م في جبل أولياء وفي جوبا وفي الشمال أعالي النيل 1993م . أحيالا جديدة تفتحت أعينها على إغاثة عملية شريان الحياة بوصفها مصدر المعيشة . وعند ما جاءت عملية شريان الحياة 1989م كان هناك جبل من الصبية في سن الرابعة عشر أو اقل وآخرون ولدوا مع مجيء العملية ، وجبل ثالث ولد خلال حقبة عملية شريان . واليوم فإن الأجيال التي في عمر السابع والعشرون وقل كلها تعتمد أساسا على ما تقدمه عملية شريان الحياة من طعام . بل أن منهم (من هو في سن 24 وحتى 27 صاروا في مستوى تولي المسؤولية (مسئولية رب الأسرة) وهذا يعني أن العملية قد أوجدت مجتمعا كاملا أو ربما مجتمعات معتمدة على غيره في معيشتها²⁸ . أما استغلال الإغاثة في تغيير الدين والثقافة فقد تعتمد بعض المنظمات غير الحكومية انتهاز سياسة المنح الدراسية لطلاب الدول الفقيرة ، لأهداف سياسية أو ثقافية . وتعتبر منظمة سورس الأمريكية من أقوى المنظمات في هذا المجال حتى تعرضت المؤسسة لمشاكل إدارية وسياسية مع الاتحاد السوفيتي لهذا السبب . وعند التأمل في سياسية المنهج الدراسية و المساعدات الأكاديمية التي ترعاها حكومات الدول الصناعية أو المؤسسات غير الحكومية في تلك الدول للطلاب والأكاديميين من دول العالم الثالث تبرز ملاحظات دقيقة . فلا جدال أن الدول النامية والفقيرة حصدت مكاسب من ورائها ولكن ثمارها لم تكن جيدة دوما فثمة إنها شائع بلاحق هذه السياسية بأنها أداة للتعبئة الثقافية والغزو الفكري كما إنها تتحمل جانبا من المسؤولية عن ظاهرة نزوح الأدمغة إلي العالم الصناعي . ويجري اصطفاء نخبتهم للعمل لقاء حوافز كبيرة وهذا ما يسمي (استقطاب الكفاءات) . وزيادة على ذلك فان الدول المقدمة للمنهج الدراسة تكون قد وظفت في الواقع سفراء جديدين لها في بلدان العالم الثالث فهم مؤهلون بشكل مرموق وسرعان ما يرتفعون إلي قمة الهرم الاجتماعي والسياسي والوظيفي والاقتصادي في دولهم والمكاسب . هنا تكون هذه الدول الصناعية قد أثرت رصيدها المعلوماتي والبحث عن العالم الثالث عبر ذلك الكم الهائل من الدراسات والرسائل الأكاديمية التي تعدها الصفوة العلمية القادمة من ذلك العالم فترسو في خزائن المعاهد الغربية لتشكل بالتالي قواعد معلومات وأرضية أبحاث فائقة الجودة تمكن من فهم هذا العالم النامي عن كتب والتعامل معه بالطريقة الأمثل في مسارات المصالح كلها²⁹ . وتوزيع الأطعمة والأدوية الفاسدة مدون غرام هانكوك في كتابة سادة الفقراء (إن الغذاء المقدم من المجموعة الأوربية كهدية عادة ما تصبح كثيرا من الشكوى والمنفعين . وبناء على قول عضو البرلمان الأوربي (ريتشارد بألف) الذي قال : (انه من غير المقبول تماما أن نقوم في تصدير غذاء لا نأكله نحن أنفسنا ، ويضيف الكاتب في أعقاب انتشار الإشعاع الصادر عن حادث شرنوبيل في روسيا عام 1986م تحولت كميات من الأغذية الملوثة التي تعتبر غير قانونية في أوروبا إلي شحنات إغاثة . وقد تم إغلاق مصنع للحلوي في البحر الأحمر بعد استخدام دقيقا من قمح يوناني ملوث بالإشعاع . وفي عام 1988م أجبرت مجموعة من الدول الإفريقية المسحوقة لرفض أغذية من المجموعة الأوربية لأنها ثبتت إنها ملوثة تلوثا خطيرا وينقل الكاتب ما قاله لاري سايمون المسئول عن اكسفام- أمريكا – في أوقات الكارثة تدحرج إلينا كل أنواع القنادورات حيث قامت بتقديم احدي المنظمات التطوعية الخاصة الغذاء للجوعى بشحن (91) طن من الأدوية والأغذية المنقذة للحياة أبان المجاعة الكبرى ما بين 1979 – 1980م . كان الغذاء قديما لدرجة أن أصحاب حدائق الحيوان رفضوا إعطائه لحيواناتهم كما أن فعالية الأدوية كانت منتهية قبل (15) سنة . قد قامت منظمات الإغاثة بشحن (800) حقيبة من أغذية الأطفال الفاسدة إلي معسكرات اللاجئين في هند، كما شحنت (51) الف طن من الأغذية الأوربية إلي موزنبيق المتأثرة بالمجاعة في أفريقيا وعند وصول تلك الشحنة وجد إنها قديمة وملينة بالحبوب المكسرة والأوساخ والطين وغير صالحة للاستهلاك ، قد شحنته ذرة شامية (62) الف طن أرسلت كمساعدة غذائية للشعب النيجر تبين عند فحصها بواسطة المراجعين أنها لا يمكن أن تكون مقبولة حتى كغذاء للحيوانات . وفي عام 1982م قامت جمهورية جيبوتي الصغيرة التي خربها الجفاف برفض شحنة إغاثية من السوق الأوربية تقدر بـ 974 طنا من دقيق القمح باعتبارها غير مناسبة للاستهلاك البشري ، وبالرغم من ذلك فان المجموعة الأوربية كانت مصممة على فرض شحنتها الغذائية على الأفريقيين الجائعين بأي طريقة وأخيرا قبلت نفس الشحنة من زائير بعد مضي عامين في 1984م . وفي عام 1983م أوقفت المغرب استخدام (240) طن من الشحوم لصناعة الصابون ، وتبين أن الزيت يحتوى على أربعة أضعاف لأعلي معدل جرثومي مسموح به ، وفي نفس العام أتلفت تونس (354) طنا من زيت وشحوم أخرى أكثر خطورة لاحتوائه على نسبة عالية من البركيسد و لتلوثه بالديدان³⁰ .

²⁸ عوض خليفة موسى - عملية شريان الحياة في السودان - حضان للنجاة أم حضان طرودة - دراسة نقدية لعملية شريات الحياة الاغاثية لمنطقة جنوب السودان - الطابعون جامعة الخرطوم ص 138

²⁹ محمد عبد الله السلومي - القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب - ط- مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر ص 361

³⁰ غراهام هانكوك : سادة الفقر - ترجمة د: ناصر وستمار السيد - دار الحدائث للطباعة والنشر والتوزيع بيروت . 1994م .

هذا ما يتعرض له كثير من الدول النامية الفقيرة من خلال المنظمات الطوعية الأجنبية ، وهناك منظمات طوعية تعمل لأعمال إنسانية بحتة ، وليست كل المنظمات الطوعية تحترف عن الأهداف والأغراض الإنسانية .
الحروب الاقتصادية الضمنية

في ضوء الطريقة التي تنفذ بها عملية شريان الحياة والإصرار على الاستمرارية لإغاثة من قبل المانحين ومن قبل الأمم المتحدة رغم إنها ناقصة وغير كافية فإنه لا توجد مبالغة أن هذه الإصرار تتضمن حربا اقتصادية وسياسية على السودان . هذه الحرب غير معلنة لكنها مضمنة في رسالته إلي العالم ليعرف أن السودان رغم به موارد هائلة وحكومة غير قادرة على توظيف هذه الموارد توظيفا كاملا لصالح شعبها ، فهي إذن حكومة غير مؤهلة لهذا الدور . إذ جعلت البلد غير مستقرة (بفعل الحرب) ، لذا يجب الحذر من التعامل الاقتصادي معها في المجالات التجارية أو الاستثمارية . وهي حرب غير معلنة لكنها مضمنة في فلسفة عمل لشريان الحياة ذات الأجنحة والمرامي البعيدة ³¹ .

انتفاص سيادة الدول على أراضيها

كشفت صحيفة الديلي ستار عن صور دعم المتمردين من قبل المنظمات الطوعية . وقالت أن مجلس الكنائس العالمي مارس دورا مهما في دعم المتمردين في جنوب السودان كما ساعد بشكل نشط الحركة الانفصالية في إقليم (بيافرا) النيجيري . ولم يحدث أن تم انتقاد هذه المساعدات على أنها دعم واضح للإرهاب ويجب وقفها كما أشارت مركز الخليج للدراسات الإستراتيجية إلي الأزواجية المفحوصة فقال (تلك الأزواجية المفحوصة التي برزت بشكل قوى وواضح حينما تأكد الدعم من قبل (مجلس الكنائس العالمي) إلي حركة متمرد في جنوب السودان وبملايين الدولارات³² . وقد استطاعت عملية لشريان الحياة أن تحيد سلطة الدولة في منطقة جنوب السودان خاصة المناطق التي تحتلها حركة التمرد . وبهذا التحديد تصيح هذه المناطق مسرحا للتحرك الحر للأمم المتحدة وكالاتها . والمنظمات التطوعية الأجنبية بما فيها تلك التي تدخل البلاد عبر حدود دول الجوار الجنوبية دون إذن الحكومة السودان كل ذلك يحدث بحجة متابعة حقوق الإنسان وتقديم المساعدة الاغاثية للمحتاجين والوقوف على أوضاعهم المعيشية . في ذلك استنفاص سيادة الدولة على أراضيها ومن انتفاصات عملية شريان الحياة إنها وضعت حركة التمرد محل الحكومة حيث تتحرك أي عملية إلا بموافقة حركة التمرد . بل كانت تحرص أن تأتيها موافقة الحركة كتابة وكأنها سلطة حاكمة . تعمدت الأمم المتحدة أن تطلب موافقة من حركة التمرد في كل سفريه جوا أم بحرا وذلك إمعانا في رفع صورة حركة التمرد إلي مستوى السلطة ذات السيادة على الأراضي التي تحتلها وكذلك إمعانا في أضعاف هيبة الدولة وأضعاف سيادتها على أراضيها . هذه الشكوك من الأمم المتحدة أعطت حركة التمرد اعترافا ضمنيا عالميا وصارت كثير من الدول تتعامل مع الحركة وكأنها حركة تحرير وليست حركة متمردة على حكومة بلدها³³ . وبعض هذه المنظمات تمتلك أجهزة اتصال عالية الكفاءة وغير موجودة من لدى الأجهزة الحكومية وتستخدم هذه الكفاءة في العمل التجسسي الخارجي ضاربة بذلك عرض الحائط بكل القوانين واللوائح السودانية والولوية . وقد ضببت بعض هذه المنظمات ولم تستطع أجهزة الأمن الوصول للكثير منها . في ابريل 1991م ضببت بعض أجهزة الأمن السودانية معدات تصنت وأجهزة اتصال على درجة عالية من الكفاءة مع بعض المنظمات الطوعية وتزود بعض هذه المنظمات عبر شبكة عالية التقنية أجهزة الأعلام الغربية بمعلومات مغلوبة وصور مغلوقة عن السودان . في منتصف عام 1991م وبينما كانت البلاد تشهد موسما جيدا للأمطار نجد أجهزة الأعلام الغربية تردد وجود مجاعة في السودان بل واستفحاليا بل احتمال موت 12 مليون مواطن سوداني . حدث ذلك في الأقاليم الجنوبية وكردفان التي إذا مات كل سكانها لما وصل الرقم اثني عشر مليوناً . وتحاول بعض هذه المنظمات زعزعة الاستقرار الداخلي عن طريق نشر معلومات كاذبة ضد الحكومة الوطنية التي تعارضها الرأي وتحرض المواطنين للانضمام إلي المعارضة المسلحة وغير المسلحة وإثارة الطلاب وحثهم على الشغب وكذلك إيوائهم للمتمردين مع منحهم السلاح والغذاء والدواء والغطاء الدبلوماسي والإعلامي . وبعض هذه المنظمات تمد المتمردين بالمعلومات وتشارك في نقل العتاد والذخيرة وتشوه سمعه السودان في الخارج باختلاق الأكاذيب كما إنها تتصف بعدم الأمانة المهنية والتحيز الواضح الفاضح وبدأت هذه المنظمات الطوعية الأجنبية التدخل في الشؤون الداخلية للسودان والتأثير على مجريات الأمور مثل اختيار الوزراء وحكام الأقاليم أبان والتأثير على نتيجة الانتخابات ، وزاد نشاط هذا المنظمات أبان الفترة الديمقراطية الثالثة حيث أخذت تقوم بدور الشركات المتعددة الجنسية ولا تلتزم بمهامها الإنسانية ، فخلال عملية شريان الحياة انحازت بعض الجمعيات الطوعية الأجنبية لصالح التمرد . وبدأت توزع الطعام في مناطق التمرد متجاوزة الحدود المتفق عليها . وقد ضغطت هذه المنظمات على الحكومة السودانية وأجبرتها على مد الإغاثة إلي مناطق التي تسطير عليها حركة التمرد بل وإمداد بعض المنظمات

³¹ عوض خليفة موسى – عملية شريان الحياة في السودان حسان للنجاة أم حسان طروادة دراسة نقدية لعملية شريان الحياة الاغاثية لمنطقة جنوب السودان ط – الخرطوم مطبعة جامعة الخرطوم ص 142 .

³² محمد بن عبد الله السلوبي – ضحايا برئيه للحرب العالمية على الإرهاب – مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر 2005م ص 217

³³ عوض خليفة موسى عملية شريان الحياة في السودان ص 144 صدر سابق

التابعة أو الموالية لحركة التمرد بمواد الإغاثة المختلفة . وقد تم إسقاط أكثر من 200 طن من المواد الغذائية على العناصر التي يسيطر عليها المتمردون . بل أن بعض السلاح كان يهرب إلي الحركة عن طريق المنظمات الأجنبية الطوعية على أساس انه مواد إغاثة³⁴ لقد استباحت المنظمات التطوعية الأراضي السودانية إذ جعلت منطقة جنوب السودان منطقة مستباحة لها حيث تتحرك بحرية تامة دون إذن الحكومة وتعمل هذه المنظمات مباشرة مع حركة التمرد الأمر الذي تعتبره الحكومة تجاوزا لسيادتها . غير أن الأمم المتحدة تعتبر ذلك أمراً تقتضيه حماية حقوق الإنسان في جنوب السودان . هذه الاستباحة للأراضي السودانية من قبل المنظمات التطوعية الأجنبية جعل بعضها يشن حرباً إعلامية عالمية ليث الكراهية والعداء ضد حكومة السودان واتهاما بانتهاك حقوق الإنسان وممارسة الرق والأسلمة الجبرية الأمر الذي عانت منه الحكومة كثيراً³⁵ .

8. الإغاثة والتطوع لفرص التنصير

ذكر دكتور السلومي في كتابه ضحايا برئيه للحرب العالمية على الإرهاب يعتبر التنصير من الأنشطة اللازمة لأي عمل إغاثي في العالم الثالث عامة وعلى وجه الخصوص الدول الفقيرة وفي هذا الجانب فتح الدراسون بجامعة كولومبيا الدولية بأمرىكا حوارات ونقاش . وكانوا يناقشون الإغاثة لأجل التنصير إن أي ضرر بسبب عملهم لا يقارب بالهدف الذي يسعون إليه والمتمثل في تقويض الإسلام قائلين أنه إذا لم تتح الفرصة للمسلمين كي يعيشوا تجربة المسيح فسوف يذهبون إلي الجحيم . قالوا ذلك ردا على الناقدون لهم بان أعمالهم التبشيرية تسبب في تعطيل توصيل المعونات الإغاثية وتؤجج مشاعر الكراهية تجاه الغرب المنصرين حيث يكتفون بجهودهم في كل مكان يستطيعون الوصول إليه من العالم الإسلامي . وهم يتعلمون منهج (السياقية) ومعناها أن يضع المنصر نفسه في سياق المجتمع الذي يخاطبه ، فيجب عليه أن يتحولوا إلي مسلمين في مظهرهم حتى يصلوا إلي مفاتيح قلوب المسلمين . فقد يظهرون بأسماء مسلمة ويطلقون لحاهم ويرتدون الجلابيب ، والنساء يرتدين الحجاب . وليس هناك ما يمنع أن يؤدي المنصرون الصلوات مع المسلمين أو أن يصوموا خلال شهر رمضان . روبرت تفرسون الذي عمل مديرا لمنظمة كير الإغاثية (Care) حينما خدم مع قوات المارينز الأمريكية في الصومال في بداية التسعينات كانت هناك (2000) منظمة تعمل من اجل السيطرة على المجاعة التي هددت الشعب المنغمس في الحرب . غير أن المبشرين تسببوا في تدهور الموقف وذلك حينما اظهروا في مراكز توزيع الطعام وتصرفوا على نحو افتقاع الناس بأن عملية الإغاثة من خلال الطعام مرتبطة بالتنصير حيث أدى ذلك إلي كارثة فقد تزامم الصوماليون لسرقة الطعام ثم أشعلوا النار في الحافلات³⁶ .

الجنس مقابل الغذاء

من الأخطاء الفادحة للمنظمات الطوعية ظاهرة تعتبر من الظواهر التي كل ما يتم الحديث عنها رغم انتشارها في بلدان عديدة . هذه تبرز من خلال ما كتب عنها بعض الصحف في عام 2002م بعنوان : كوفي عنان الأمين العام يحقق في اتهامات الجنس مقابل الغذاء في مخيمات اللاجئين . وهذا يعتبر من أخطر أنواع الاستغلال البشع وضحايا هذا الأمر لا يتجاوز أعمارهن الثالثة عشر . وقد قالت المتحدثة باسم الأمم المتحدة إن الأمين العام كوفي عنان أمر بالتحقيق بشكل دقيق بقرار المستطاع وفي أسرع وقت ممكن في شكاوى الاستغلال الجنسي للأطفال في مخيمات اللاجئين التي أقامتها الأمم المتحدة وبعض المنظمات الطوعية الأخرى في بعض دول غرب إفريقيا . وجاء الأمر الذي أصدره عنان في أعقاب بيان مشترك للمفوض الأعلى للاجئين ومنظمة أنقذوا الأطفال الخيرية البريطانية جاء فيه: أن الأطفال وللاجئين آخرين في غينيا وليبيريا وسيراليون شهدوا أن (70) شخصا من ضمنهم جنود لحفظ السلام بالأمم المتحدة (40) منظمة للمساعدات الإنسانية متورطون في عمليات استغلال جنسي للاجئين في المخيمات. وجاء في تقرير المنظمين أيضا أن عدد الاتهامات لا يدع مجالاً للشك وفي أن هناك مشكلة خطيرة تتمثل في الاستغلال الجنسي يتطلب مزيدا من المبادلات والتحقيقات . وقالت مارى أوكابي المتحدثة باسم الأمم المتحدة أن عنان طلب اتخاذ الإجراءات الملائمة بهدف تعزيز حماية النساء والأطفال كلما اقتضت الضرورة ذلك . وأوضحت إن فريق التحقيق التابع للأمم المتحدة يوجد بالفعل في المنطقة للكشف عن صحة الاتهامات التي ستكون إن ثبتت صحتها أخطر حالة من حالات استغلال الأطفال بتورط فيها موظفون في وكالات المساعدات الإنسانية التابعة للأمم المتحدة و عسكريون من قوة حفظ السلام الدولية . كما قالت أن عنان سيتصرف بصرامة مع مرتكبي هذه الجريمة إذا أسفرت التحقيقات عن وقوعها فعلاً وقد جاء في هذا التقرير انه قد تم اللقاء مع (1500) طفلة وان شهادتهن أفادت إن موظفي منظمات المساعدات في بعض مخيمات اللاجئين طلبوا ممارسة الفاحشة معهم مقابل منحهم نقودا وهدايا وأغذية . وتتراوح أعمار معظم الفتيات اللاتي تعرضن

³⁴ عبد العظيم سليمان المهل ، أمين حسن عمر – الهروب إلي الهامش – قضايا النزوح في السودان ص 67 -68

³⁵ عوض خليفة موسى عملية شريان الحياة ص148 مصدر سابق

³⁶ محمد بن عبد الله السلومي – ضحايا برئية للحرب العالمية على الإرهاب – ص230 مصدر سابق

للاستغلال ما بين 13- 18 عاما³⁷. وهذه من مصائب ومشاكل العمل الطوعي التي تكاد تعم في معظم الدول النامية والفقيرة والتي تحتاج دائما المساعدات بما فيها من أضرار وأثار بالغة الخطورة .

9. الاختراق الأمني

عملية الشريان الحياة لإغاثة جنوب السودان (1989-2005م) فتحت الباب على مصراعيه للمنظمات التطوعية الأجنبية لتجوب في الجنوب وتعمل مع حركة التمرد ، وتمدها بالمال والعلاج والطعام وتمارس الأعمال الاستخباراتية ضد حكومة السودان . وحتى الهيئات الأمم المتحدة المقترض فيها الحياد التام ومراعاة سيادة دولة هي عضو في الأمم المتحدة ضبطتها الأجهزة المختصة للدولة وهي تنقل الآليات ومعدات وعربات إلي مناطق وجود حركة التمرد داخل طائرات نقل الإغاثة طائرات من طراز (C-130)³⁸. كذلك دخلت البلاد تحت مظلة تقديم الخدمات الإنسانية عناصر بشرية من جنسيات مختلفة لا تفرق خليفتها ولا أهدافها ولا يمكن أن تظمن البلاد إليها . تم كل هذا الاختراق لسيادة الدولة وأمنها تحت مظلة ما يعرف بالعميل الإنساني . ومن المظاهر الاختراق البيئي وهو من أحدث أنواع الاختراق الذي أتى مع عملية شريان الحياة إلي مناطق جنوب السودان . وما يعرف بالاختراق البيئي يتمثل في جلب أنواع من بذور المحاصيل الزراعية من خارج السودان خاصة من كينيا ويوغندا إلي جنوب السودان وخاصة المناطق التي تحتلها حركة التمرد بغرض إن تتولي بعض المنظمات الطوعية زراعتها لتدريب المواطنين كما تدعى على العمل الزراعي ، وقد أدخلت تلك البذور دون علم الجهات الفنية السودانية المختصة وذلك لفحصها والتأكد من أنها صالحة للبيئة السودانية وإنها لا تحمل أي أمراض أو مشاكل فلاحية تضر بالتربة ومستوى مقاومتها للأمراض أو الآفات أو الحشائش ولا تكون ملوثة بعناصر بيولوجية أو كيميائية ضارة والجهة الفنية المناط بها فحص هذه البذور . وهناك نظام ولوائح لا تسمح بإدخال أي بذور من خارج السودان إلا بعد فحصها والتأكد من سلامتها وهو ما يعرف بالحجر الزراعي . هذه البذور الدخيلة لا تؤثر على العمل الزراعي والغذاء النباتي في المنطقة فحسب بل تؤثر أيضا على التربة وعلى أنواع الحياة الموجودة في المنطقة مثل الطيور والحشرات ومختلف عناصر التنوع البيولوجي . وهو خطير على صحة النبات والإنسان والحيوان . المحصول المنتج من هذه البذور الدخيلة قد يؤثر على النمط الغذائي الموجود في المنطقة ذلك لأنه ربما تكون فيها بذور معدلة وراثيا (Genetically Modified) لا يعرف الناس حقيقتها ومشاكلها . كان الأجدى ألا يتم إدخال هذه البذور إلا بعد أن تخضع للفحص من قبل الجهات المعنية في ولادة الزراعة السودانية والتأكد من ملاءمتها لبيئة المنطقة . لم تكتفي عملية شريان الحياة بإدخال البذور بل نفذت برامج لتطعيم الماشية في منطقة (كبوينا) بشرق الاستوائية عام 1993م بأبقار قبيلة التيبوسا واستخدمت أمصال لم تعرض على السلطات البيطرية السودانية لتجرب عليها الفحص اللازم وتتأكد من سلامتها وملاءمتها .

الاختراق الثقافي ، الأكاديمي

يمثل هذا النوع من الاختراق في الحملات المدرسية التي نظمها إدارة عملية شريان الحياة في القطاع الجنوبي حيث وجود حركة التمرد خاصة في مناطق (شقدوم) قرب الحدود الكينية . حشدت التلاميذ في مجتمعات مدرسية وأخذت تدرسهم مناهج دراسية منافية للمناهج السودانية ومحتوية علي موارد وبرامج لا تتماشى مع سياسات الدولة التعليمية دون علم أو موافقة الدولة . كل ذلك حدث من إدارة عملية شريان الحياة دون مراعاة لسيادة الدولة³⁹. هذا الاختراق هو من أخطر التجارب للمنظمات الإنسانية تصل هذه التجاوزات إلي مشاكل بل كوارث يصعب حلها كما هو في دارفور . ومن التجاوزات للمنظمات التطوعية ما رصدت مفوضية العون الإنساني فقد ذكرت ثلاثين تجاوزا وعدم التزام بالاتفاقية القطرية ولم تشير المفوضية إلا لقليل منها ، ونذكر هنا محاور هذه التجاوزات . كما صدرت في التقارير الخاصة لوزارة الشؤون الإنسانية نشر تقارير وبيانات ملفقة عن الأوضاع وعدم الالتزام بالقانون واللوائح والاختصاص والعمل في مجالات غير مصدق لها وممارسة أنشطة تتنافى مع مبادئ العمل الطوع والإنساني . هذا مع الاستفادة من الإعفاءات الممنوحة لطوارئ دارفور لخارج دارفور واستغلال التسهيلات والإجراءات الهجرية من دخول وإقامة للعاملين خارج دارفور وإدخال أفراد غير عاملين في المنظمات لتنفيذ مهام غير إنسانية وتخزين الغذاء والدواء حتى تتلف ثم يتم التخلص منه دون أخبار المفوضية . وقامت بعض المنظمات بدور سيادي في إطار إدارة بعض المعسكرات حتى وصل إلي منع وزير الداخلية بحضور اجتماع النازحين ومنسق العون الإنساني للأمم المتحدة بالمعسكر . أنتجت تلك الحملات استعداء المجتمع الولي وخلق سيناريوهات إدانة وتحديد عقوبات لحكومة السودان . وهناك تقارير عن عدم استخدام المقاييس والمعايير الصحية الوطنية والدولية في تحديد انتشار الأمراض والوصول إلي نتائج غير مغايرة

³⁷ محمد بن عبد الله السلمي - القطاع الخيري ودعاوي الإرهاب ص 79 مصدر سابق

³⁸ عوض خليفة موسى (مصدر سابق)

³⁹ عوض خليفة - عملية شريان الحياة في السودان ص 149- 151 مصدر سابق

ونشرها. وتم إجراء بحوث ومسوحات والدراسات الميدانية بغير إذن السلطات ومشاركتها ونشر نتائجها بما فيها من مبالغات والطيران المنخفض فوق المواقع العسكرية السودانية ودعمت المجموعات المتمردة⁴⁰. وهناك نماذج الممارسات غير الطوعية لبعض المنظمات الغربية في السودان منها منظمة التضامن المسيحية ومنظمة اوكسفام ومنظمة العون الشعبي النرويجي.

تتخذ منظمة التضامن المسيحية من سويسرا مقرا رئيسا لها وهي تأسست بواسطة رجل الدين المسيحي كانون ما يكل بوديو وهو مؤسس معهد كيستون بأكسفورد بإنجلترا الذي يهتم بشئون الأقليات المسيحية في مختلف أنحاء العالم. وقد انتقل كثير من المسؤولين بالمعهد للعمل بمنظمة التضامن المسيحية ومن بينهم خير المنظمة في الشؤون الإسلامية جون ابير. وترأس المنظمة البارونة البريطانية كارولين كوكس والتي تقود حملة المزاعم حول تجارة الرقيق بالسودان. ومن أبرز زعماء المنظمة اقترى رئيس لجنة كل الأحزاب التابعة للبرلمان البريطاني والمختصة بقضايا متعددة الجنسيات وتهتم بقضايا حقوق الإنسان وتعمل على مساعدة قضايا الاضطهاد دون تمييز بسبب اللون أو الجنسية أو العقيدة إلا إنها تقوم دائما بالاتهامات ضد حكومات بعض البلدان. وسبق أن وجهت اتهامات إلي تركيا ووصفتها بأنها تشجع جرائم العنف التي ترتكبها الجماعات المسلحة المتطرفة ضد المسيحيين. وفي سياق حملتها ضد السودان قالت أن القبائل السودانية مثل المسيحية والرزقات تقوم باختطاف واسترقاق سكان جنوب السودان وجبال النوبة لبيعهم. وقد أصدر جون ابير مطبوعة تحتوي على سيناريو لتقسيم السودان. ودعا علنا في مقال نشرته له صحيفة وول ستريت جورنال في عام 1999 إلى تقسيم السودان إلى خمسة دويلات. وقد رفعت منظمة التضامن المسيحية عدة تقارير إلى اللجنة الدولية لحقوق الإنسان حيث اتهمت فيها السودان بالاضطهاد الديني وعدم وجود حرية المعتقدات وان المسيحيين بالسودان مضطهدون من قبل المسلمين والحكومة السودانية هي التي تمارس هذا الاضطهاد. كما قامت المنظمة بعرض فيلم يعكس صورا مفبركة باعتبار أن بعض الشماليين هم تجار الرقيق. وقامت المنظمة بشراء الرقيق وإطلاق بعض منهم مقابل مبالغ مالية ومواصلة لاتهامها للسودان لتجارة الرقيق. أصدرت المنظمة بيانا ادعت فيه تحريرها لعدد من الرقيق بالسودان. وردا لهذا الادعاء أوردت وكالة السودان للإبنا أن مصدرا قانونيا بوزارة العدل صرح بها بان منظمة التضامن المسيحي لها صلة بحركة التمرد وان هذه المنظمة قد تم طردها من قبل وظيفة مراقب بلجنة حقوق الإنسان بجنيف في أعقاب تقديمها لجون قرنح لمخاطبة اللجنة نيابة عن المنظمة. وقد زارت البارونة كوكس رئيسة منظمة التضامن المسيحية بجنوب السودان دون إذن مسبق. كما سبق أن زارت شرق السودان بما دفع النائب محمد ادم عضو البرلمان الذي قال بان النواب البجا سيقدّمون احتجاجا رسميا لمجلس الواردات البريطاني احتجاجا على زيارة غير مشروعة قامت بها البارونة كوكس رئيسة التضامن المسيحي للشرق. وامتدت حملة كوكس العدائية ضد السودان حتى وصلت إلى كندا حيث ادعت منظمة دينية كندية في ابريل 1997م إنها قامت بشراء عدد 319 عبدا من التجار في السودان لترد إليهم حريتهم⁴¹.

أما منظمة اوكسفام وهي منظمة شبه حكومية تابعة لوزارة المستعمرات البريطانية سابقا وتشرف علي إدارتها الاستخبارات البريطانية خاصة في الدول النامية. واوكسفام هي أداة المخابرات البريطانية تستغلها لعمليات الإغاثة وتنفيذ أهداف لاستخبارات والدليل على ذلك أن الشخص المسئول عنها هو بيتر وود أستاذ العلوم السياسية بجامعة رنچ (Reading) البريطانية وقد عمل محاضرا بجامعة الخرطوم ويكن عدا شديدا ومقتنا للإسلام والمسلمين. وقد أعدت هذه المنظمة سلسلة محاضرات عن السودان في الجامعة المذكورة وقد عقدت هناك مؤتمر عن المجاعة في السودان. وتعتبر هذه المنظمة المصدر الرئيسي للأخبار عن السودان ويوجد اتصال وعلاقة بينهما وبين الحركة الشعبية لتحرير السودان عن طريق بعض الأشخاص وقد ورد صراحة في محاضرة ألقاها الدكتور بيتر وود بجامعة رنچ أن التوجه العام هو استعمال الإغاثة وسيلة ضغط على النظام السوداني لإسقاطه بالتعاون مع حركة التمرد وأحزاب المعارضة الأخرى⁴².

دخلت منظمة العون الشعبي النرويجي (NPA) إلى السودان عام 1986م وعملت في جنوب السودان منطلقا من مكتبها الإقليمي بنيروبي في كينيا. وقد رفضت العمل ضمن المنظمات العاملة في شريان الحياة (OLP) بحجة أنها سبقت لشريان الحياة الذي بدأ عمله في عام 1989م. ومن أبرز أهدافها شعارات تقول بأنها منظمة تناضل ضد القمع الديني والعرفي وبالتالي تطالب بجعل الجنوب السودان دولة منفصلة من الشمال المسلم. وهي مدعومة من الحكومة النرويجية والأمريكية والهولندية بالإضافة إلى المعونة الأمريكية وكالة سيدا السويدية والاتحاد الأوربي. ونسبة لنشاطها المعادي في جنوب السودان تقدمت الحكومة السودانية بشكوي إلى الأمم المتحدة في يناير 1995م بعد ضبط منظمة الشعب النرويجية والاتحاد اللوثري العالمي التين قامتتا بإسقاط صناديق ذخيرة وسلاح لقوات حركة التمرد بجنوب السودان من طائرات بلجيكية مستأجرة من مقر المنظمة الرئيسي في أوصلو. ويشرف عليها اتحاد العاملين في النرويج وهي تعمل مع حركة التمرد وتعتبر من أكثر

40 عبد الرحمن احمد أبو دوم - قضايا الإنساني والعمل الطوعي مركز الشباب الإستراتيجية - الخرطوم. مطابع العملة السودانية.

41 ربيع العاطي عبيد - القوات الدولية الخطر القادم (دروس للسودان) لشركة مطابع السودان للعملة المحدودة ص 93

42 عبد العاطي سليمان المهل - أمين حسن عمر - الهروب إلى الهامش - قضايا النزوح في السودان.

المنظمات الملتزمة معها ولا تخفي ذلك وتدعي مناصرتها لهم من باب مناصرتها لكل المستضعفين في العالم وخاصة المسيحيين كما توجد بالمناطق التي تسيطر عليها حركة التمرد في نمولي وبولي شقودم واكوات وغيرها من المناطق . وقد سبق أن اتفقت مع شركة طيران نيروبي تدعي فاركي ماركي لنقل الذخائر جوبا من شقودم إلى اكوات وتكلفت المنظمة بدفع تكاليف الترحيل كما قامت بافتتاح مستشفى في ياي بعد استيلاء حركة التمرد عليها . وكذلك سبق أن اتهمت قوات الحكومة السودانية بقصف المدنيين بالجنوب ودعت بمجلس الأمن والمنظمة الدولية بالتدخل في جنوب السودان لحماية المدنيين وخلق مناطق آمنة وفي يوم 1999/11/11م نقل التلفزيون النرويجي بثاً مطولاً لشريط وثائقي عن نقلهم لأسلحة وذخيرة وأشياء أخرى إلى جبال النوبة حتى يستطيعوا الاستمرار في الحرب هناك . كما اعترف أول مدير للمنظمة أيغل هايقن (Eigl hagen) أن منظمة الشعب النرويجية قامت باستئجار باخرة في عام 1991م بمعداتها عمالها والتي قامت منظمة الصليب الأحمر ببنائها في العام 1990 بتكلفة بلغت خمسة ملايين جنيه لنقل الإغاثة ولكن لم تباشر الباخرة عملها بأمر الحكومة السودانية وقد عضد قبطان الباخرة الذي عمل بها ما بين 1991-1992م . هذا الاعتراف بأنها منظمة كان لها تعاون لصيق وباستمرار مع الحركة الشعبية لتحرير السودان لم يكن ترخيص من الخرطوم باستعمال الباخرة . وكانت هناك تعليمات واضحة من الحكومة السودانية بالقصف في حالة استعمالها وكان شعار الصليب الأحمر على الباخرة ولما استأجرتها المنظمة غيرت لونها إلى الرمادي ، ولخطورة استعمال الباخرة بالنهار تلجأ إلى استعمالها بالليل حتى لا ترى . وفي مايو 1998م تعرضت منظمة الشعب النرويجية لشكوى قدمت ضدها إلى وزراء الخارجية النرويجية بأنها سببت في إطالة أمد الحرب الداخلية في السودان من خلال توفير دعمها الفعال لمقاتلي الحركة الشعبية بتقديمها للأغذية لهم وتوفير السيارات والبيوت التي كانت تحت تصرفهم وبناء المدارس وغيرها لأبناء ضباط الحركة الشعبية . كما أنها تهتم كثيراً بتقديم العلاج بجرحي مقاتلي الحركة الشعبية في حين لم يحظ المدنيون بذلك . وقد اكتشف ذلك المسؤولون السودانيون في عام 1989م ومعاونة المنظمات التطوعية لحركة التمرد لا تحظى على احد بل أن حركة التمرد لها جمعيات إغاثة تقدم العون وأخرى تتعاون مع التمرد ، وأشاد قائد التمرد جون فرنق آنذاك ببعض المنظمات الأجنبية التطوعية في اجتماعه بالأمم المتحدة في شهر مايو 1991م بقوله إن المنظمات الصغيرة مثل منظمة مساعدة الشعوب النرويجية وورد فيش والإغاثة الكاثوليكية تقوم بأعمال أكثر جدوى من عمليات الأمم المتحدة . وقد سبق أن اعتقل اثنان من منظمة كونسيرن الايرلندية وتم طردها من البلاد لعلاقتها المشبوهة مع حركة التمرد . ويبدو هذا جلياً في الامتعاض وعدم الارتياح الذي قوبل به قرار الحكومة بالإشراف على أجهزة اللاسلكي الخاصة بأعضاء الجمعيات الطوعية وكذلك إعادة تسجيل هذه الجمعيات على أسس جديدة مع مراقبتهم مراقبة دقيقة . كذلك قامت عدد من منظمات الإغاثة الدولية العاملة بالسودان وبعض المنظمات الكنسية بمنع النازحين بمعسكرات ولاية الخرطوم من المشاركة في عمليات الحصاد وذلك بهدف عرقلة الحملة القومية للحصاد . وقامت هذه المنظمات بدفع مبالغ مالية ضخمة لعدد من السلاطين بهذه المعسكرات في شكل رشوة لإيقاف مشاركة النازحين في عمليات الحصاد لموسم 1991م . ووقعت هذه المنظمات تعهدات بتقديم المواد التموينية والأموال اللازمة للنازحين بمعسكراتهم في حال بقائهم هذا . وقد ضبطت الأجهزة الأمنية عدداً من الشاحنات المحملة ليلاً . وقد رصدت هذه الجهات أكثر من مليون دولار لتنفيذ هذه العملية في انتهاك صريح لحرمة الأمن السوداني . ودأبت كثير من المنظمات الطوعية على نشر الأخبار الملفقة والمغلوبة في الخارج مستغلة جهل العالم الخارجي بما يجري في السودان . يتبين ذلك من تقرير وزعته جمعية مكافحة الرق وتحدثت هذه الجمعية غير المعروفة عن الرق في السودان وكيف يبيع أهل الشمال أهل الجنوب بل ويصدرونهم إلى الأسواق العالمية . وتحدثت عن قبيلة الدينكا التي تبلغ 5 ملايين نسمة مع أن تعداد الولايات الجنوبية كلها لا يتجاوز خمسة ملايين نسمة . وأخبار كثيرة أخرى مشوهة تظهر تدخل بعض المنظمات الأجنبية بصورة واضحة في الشؤون الداخلية للبلاد وتخوض في السياسة المحلية محاولة تغيير الأنظمة التي تعارض سياستها وبث الفرقة بين أبناء الوطن الواحد والتأثير على توجهات وميول النازحين وانتهاك قوانين البلاد . مثل ذلك التجارة غير المشروعة في الأدوية دون الحصول على ترخيص بذلك وتدريب المسيحية لأبناء المسلمين وتعميدهم دون اخذ موافقة نوابهم . وتدخل هذه المنظمات المكاتب الحكومية وتطلع على الملفات السرية منها والعلمية وفي نفس الوقت لا يسمح بالدخول إلى مباني هذه المنظمات الموصدة وذلك لوجود الأجهزة المتطورة والوثائق التي لا يريدون عليها احد⁴³

10. المراجع

1. اتحاد الإحصائيين الاجتماعيين . نماذج من مشاركة الجمعيات التطوعية في التنمية . روي تحليلية حول تطبيق منهج تنظيم المجتمع في برامج التنمية الاجتماعية . قاعة الصداقة 29 - 31 - 2000م .

⁴³ عبد العظيم سليمان المهل ، أمين حسن عمر – الهروب إلى الهامش قضايا النازحين والنازحين في السودان ص 72 مصدر سابق

2. الإمام الحافظ إسماعيل بن كثير تفسير القرآن العظيم . المجلد الأول مؤسسة الريان للطباعة . قطر . 1998 .
3. الإمام الكاندهولي ، فتح الباري . شرح صحيح الإمام البخاري . دار الريان . القاهرة ، 1986 .
4. الإمام جلال الدين محمد بن منظور المصري : لسان العرب المجلد الثامن للطباعة لبنان بيروت .
5. الإمام محمد بن علي الشوكاني . فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير . الجزء الخامس . ص 201 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت . لبنان ، 1980م
6. بن حجر العسقلاني . فتح الباري . المجلد العاشر . ص 436 ، لبنان ، بيروت .
7. تاكتي بيير ماري . التنسيق بين المنظمات التطوعية في السودان دراسة مقارنة في المجلس القومي للجمعيات في السودان . جامعة إفريقيا العالمية . معهد دراسات الكوارث واللاجئين ماجستير ص 11
8. جمهورية السودان الاستراتيجية القومية الشاملة 1992 . 2002م المجلد الأول مطبعة جامعة الخرطوم .
9. حسن سعيد المجرم . دور المنظمات التطوعية في تنمية المجتمعات المستهدفة،- دراسة تطبيقية على منظمة البر الدولية (1990-2000م) ، بحث ماجستير ، معهد دراسات الكوارث واللاجئين ، جامعة أفريقيا العالمية .
10. ربيع عبد العاطي عبيد . القوات الدولية الخطر القادم ، دروس للسودان . مطابع السودان للعملة المحدودة .
11. سمية إبراهيم علي . الجمعيات الطوعية ودورها في نشر الوعي البيئي الجمعية السودانية لحماية البيئة نموذجاً . جامعة إفريقيا العالمية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ماجستير ص 101 ، 2001م
12. صلاح عمر وآخرون . أوضاع المسنين في السودان . الجمعية السودانية لرعاية المسنين . الخرطوم . 1991م
13. عبد الرحمن احمد أبو دوم . قضايا الإنسان والعمل الطوعي مركز الشباب الإستراتيجية . الخرطوم الطابعون مطابع العملة السودانية .
14. عبد الرحمن احمد عثمان - العمل الطوعي مفاهيمه النظرية تطبيقاته العملية في ظل العولمة والنظام العالم الجديد ص 52-60
15. عبد العاطي سليمان المهل وأمين حسن عمر . الهروب إلي الهامش . قضايا النزوح في السودان ص 69
16. عمر بشير إبراهيم . المنظمات التطوعية غير الحكومية الأجنبية وتجربتها في الإغاثة والتنمية بالسودان لتركيزها على نشاطها في حقل الجهات الصحية بإقليم دارفور جامعة الخرطوم قسم الإدارة العامة 1992م .
17. عمر سعيد احمد محمود . دور المنظمات الطوعية في كفالة الأيتام وأثرها على توافقهم النفسي والاجتماعي في ولاية الخرطوم (1995- 2000) جامعة إفريقيا معهد دراسات الكوارث واللاجئين (2007).
18. عوض خليفة موسى . عملية شريان الحياة في السودان حضان للنجاة أم حضان طروادة دراسة نقدية لعملية شريان الحياة الاغاثية لمنطقة جنوب السودان . الخرطوم مطبعة جامعة الخرطوم (2008) .
19. غراهام هانكوك : سادة الفقر . دار الحدائث للطباعة والنشر والتوزيع بيروت الطبعة الأولى 1994م .
20. فهمي علي . أسس وتنشيط مبادي العمل الطوعي . القاهرة المكتبة الحديثة .
21. محمد جمال الدين القاسمي . محاسن التأويل . دار الإحياء للتراث العربي . لبنان ، بيروت 1989 .
22. محمد حبيب بابكر . المنظمات التطوعية ودورها التعليم بجمهورية السودان . دراسة ميدانية بولاية الخرطوم - جامعة ام درمان الاسلامية كلية التربية والدراسات العليا ماجستير ص 7 ، 1999 .
23. محمد عبد الله السلوبي . ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب . مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر 2005م .
24. محمد عبد الله السلومي . القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب . مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر .
25. المعلم بطرس البستاني : محيط المحيط . قاموس اللغة العربية . بيروت لبنان . 1977م
26. هيئة منظمة إنقاذ الطفولة الأمريكية ، نبذة عن قطاع التعليم ، 2009م